مفردات مواد الجدع المشترك لميدان اللغة والأدب العربي السداسي الأول والثاني

السداسي الثاني (نثر) :

المحاضـــــــــــــــــرة
النثر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا
الخطابـــــــــــــــة
نصوص من خطب صدر الإسلام
الأمثـــــــــال والحكـــــم
الســـــــــرد . حكايات ألف ليلة وليلة
الحكاية على لســـــــان الحيوان (كليلة ودمنة)
المقامات: بديع الزمان الهمذاني ومقامات الحريري. منامات الوهراني
الرسائل الديوانية والإخوانية في المشرق والأندلس والمغرب
الرسائل السياسية في المشرق و الأندلس والمغرب
الرسائل الأدبية في المشرق و الأندلس والمغرب
أدب الرحلـــــة فـــــي المشرق
أدب الرحلة في الأندلس والمغرب
أدب التصوف في المشرق والأندلس والمغرب
النثر الجزائـــــــري القديم

المقياس : النص الأدبي القديم (النثر) :

مقدمة عامة

لقد عمل مؤرخو الأدب جهدهم لتأريخ الأدب العربي فأغنوا المكتبات بذخائر قيمة أفدنا منها ما يحقق مقاصد مقياس النص الأدبي القديم الخاص بالسنة الأولى جامعي الجذع المشترك وما دام الهدف من الأدب العربي هو العلم لا التعليم، فاختيرت من حدائق الأدب العربي أنضر الزّهر شعرا ما انطوى على لذيذ الطعم ، وإذا بدأنا بحديقة العصر الجاهلي فلأنها أكثر الحدائق شهدا يكلّف الناشئة باجتياز فلواتها بحثا عن واحات الأدب رائدهم في ذلك أساتذتهم ، فيكون الطلبة على بينة ممّا يأخذون، ويكون الأساتذة على بينة ممّا يقدمون حتى إذا سرى في أعراق الطّالب نسغ الأدب الجاهلي الأصيل أوحي إليه أن وراء قطوف البرنامج قطوفا بأقناع الشوامخ فتشرئبّ الأعناق لتشرب من قمة الينبوع فيزداد شوقا إلى ما لم يذق، ورغبة في الانتقال من الجميل إلى الأجمل عصرا بعد عصر .

هكذا سار منهج برنامج النص الأدبي القديم سير الدّليل بالسياح فكان أول الوحدات التعليمية مقصورا على النثر نشأة وأنواعا كالخطابة والأمثال والقصص والرسائل وأدب الرحلة والتصوّف بدءا بالعصر الجاهلي مرورا بعصر النّبوّة والخلفاء الراشدين فعصر بني أمية وبني العبّاس وانتهاء بالحديث عن حال النثر الجزائري القديم .

كل هذا تمّ بعد تذليل الصّعاب حرصا على الوضوح والإفهام، فلم يغفل شرح الغريب ولم يهمل تقريب البعيد ولم يُثقل كاهل الطلبة بما لا يحتاجون إليه ، وبذلك اختصرت المقدمات التي لا طائل من ورائها بناء منا لعقول الطلبة وإرواء ظمئهم ، وأنت تقرأ الأدب بشقّيه تحسّ أن فيه تاريخا ولغة ومآثر ومفاخر وفنا وجمالا فهو عند العرب الحياة كلّها، فيه يُفرغ الشّعراء والكتّاب أيّام العرب وأنسابهم ومُثلهم وقيمهم، حتى ليُحسّ فيه الأحفادُ نخوة الأجداد فقد يحقق النّصّ الأدبي هذه الغايات بفضل أصالته وحسن استثمارها .

***** وبالله التوفيق وعلى الله الكمال *****

المحاضرة الأولى: " النثر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا

النثر في اللغة يعني رمي الشيء ، وتفريغه ، واصطلاحا هو الكلام الذي لا يخضع لوزن ولا لقافية وهو نوعان ،نوع لا يمت للأدب بصلة ،فهو لغة التخاطب اليومي بين الناس ونوع فني: "يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة" [1]وهو الذي كان محل عناية النقاد ،والمسلم به أن، الضرب الأول هو لغة تخاطب الجميع يتناقلونه مشافهة ويتعلمونه سماعا ، ويستوي في طريقة التعلم المتعلم والجاهل . وأما الضرب الثاني فهو لغة الخاصة مما رزقوا بلاغة وحسّا مرهفا ، وقدرة على التّصرّف في اللّغة مفردات وتراكيب ، ولهم من سعة الخيال والقدرة الفائقة على الخلق والابتكار والتجديد .

وكما سلف أن الضرب الأول أسبق من الشعر، وأما الضرب الثاني ففيه خلاف، فمن الدارسين من يرى أنه أسبق من الشعر ، لأنه بسيط خال من الوزن ، قليل الحظّ من الخيال يفضّل الحقيقة على المجاز ، والدّقة في التّعبير عن جماله ، ومنهم من يراه تابعا للشعر لأنه يخاطب العقل . والأمم تبدأ حياتها شاعرة تتغنّى بعواطفها ، وتنتهي إلى النثر مترجمة أفكارها ، وكلّما تدرّبت بالعقل ارتقى نثرها وتنوع .

و يعترف التاريخ بضياع نثر العرب لندرة التدوين وميل الذاكرة إلى حفظ الشعر دون النثر خطابة وأمثالا وسجع كهّان ووصايا وقصصا وأخبارا مسرودة بطريقة فنية،ورسائل وعهود ووصف ومحاورة ،مكونة ما يسمى بالنثر الفني .

ولكل جدول من جداوله تلك ظروف تساعد على تطوره ، ولضعف ثقافة العصر الجاهلي وعلومه لم يعرف من الجداول وقتها إلا القصص والأمثال والوصايا والخطب في حين تأخر ظهور المقامات والمقالات والمسرحيات إلى مراحل متأخرة من تاريخ الأدب العربي ، تمّ أثناءها نضج الفكر العربي وتوفر العوامل المساعدة على الظهور[2]

1-د. غازي طليمات ، عرفان الأشقر ، الأدب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، أعلامه،فنونه)، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت،لبنان، دار الفكر ،دمشق،سوريا،1422هـ، 2002م ،ص 673،674 .

2- المرجع نفسه ، ص 28 ، 29 .

هذا تاريخيا. وأما جغرافيا فما دام النثر توأم الشعر فقد احتضنته البيئة نفسها التي ترعرع فيها الشعر ، فهي بيئة الجزيرة العربية الواقعة في الجنوب الغربي لآسيا ، وهي موطن العرب قديما وقد قسّمها جغرافيو العرب إلى اليمن وما جاورها في الجنوب والحجاز وضواحيها في الشمال ، والصحراء في الوسط ، ومناخها حار وسماؤها صافية ، وأرضها عارية من الغابات ، عاش أهلها على الحل والترحال فصور أدبهم حياتهم الملتصقة بالطبيعة وجغرافيتها وهادًا ونجادًا وحرّات وهضبات ومفازات .

أ- الخطابة في العصر الجاهلي

كان للخطابة شأن كبير برز مع وفود عرب اليمن وشرقي الجزيرة على كسرى والوفود على الأمراء كوفود حسان على النعمان وقريش على سيف ذي يزن غير أن لا وجود لنصوص تمثل تطورها ليكون ازدهارها رديف الشعر في ترجمة المشاعر وبذلك كان الشاعر أرفع قدرا من الخطيب ،ولما ازدهر النثر بمجئ الإسلام صار الخطيب أعظم قدرا من الشاعر .

ومن العُسر الفصل بين الخطابة والشعر ،فالكثير يجمع بينهما أو يتحول من أحدهما إلى الآخر ومن الشعراء الذين أجادوا في الخطابة عامر بن الطفيل ،وعمرو بن معد يكرب الزبيدي والحارث بن ظالم المري .ومن البارعين في الخطابة فحسب عامر بن الضرب العدواني ،وقُس بن ساعدة الإيادي، وذو الأصبع العدواني وغيرهم كثيرون من الوجهاء أو الأمراء أو الحكماء[1].

أنواع الخطب: خطب الجاهلية أنواع تختلف باختلاف دواعيها ومنها :

أ-خطب المنافرة :أو المفاخرة وهي المباهاة بكرم الأصل ومحامد الخلق .

ب-خطب الوعظ: وفيها يبصر الواعظ قومه بالتجربة الحية ،فدار وعظ كثير يذكر بالموت والمعاناة من الضياع ،ومن مشاهير الوعاظ المأمون الحارثي .

جـ- خُطب الحرب : تطغى فيها الحماسة وتغيب الحكمة يتنافس فيها الخطباء على إشعال نار الحرب ،قال هاني بن قبيصة الشيباني يوم ذي قار: " يا معشر بكر ! هالكٌ مغدورٌ، خير من ناج فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر ،وإن الصبر من أسباب الظفر المنية ولا الدنية استقبال الموت خير من استدباره ،الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور يا آل بكر ! قاتلوا فما للمنايا بُد".

1- د.جرجي زيدان ،تاريخ آداب اللغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ،ج1،ط2،1978م ، ص162 وما بعدها .
2- د. غازي طليمات ، عرفان الأشقر ،الأدب الجاهلي ،ص 681 .

د-خطب الزواج أو الأملاك : وفيها مظهر رُقي العرب ،إذ يُصرح الخطيب بفضائل الخاطب ليُقبل عند أهل المخطوبة، وقد يقابله خطيب من قوم الفتاة في لباقة والرد يكون من الأب بالقبول ،وقد يحمل نُصحا لابنته وتحميل الخاطب ضرورة حمايتها ورعايتها

هـ-خطب إصلاح ذات البين : على الرغم من السلوك الحماسي للبدوي الذي قد ينقلب إلى خصام فإن العقل دائما هو الحكم الفصل ،يقمع العنف ويبين أن الصلح أفضل فيدعو إلى جمع الشمل ورتق الخرق قبل استفحال العداوة .

و- خطب التعزية والتهنئة : أقر الإسلام آدابا عرفها الجاهليون ،منها التعزية والتهنئة .

سنن الخطباء : تواضع الخطباء على سنن يلتزمونها لترتقي بفن الخطابة ،كاستنام الرواحل، ويلفّون على رؤوسهم العمائم، ويلوّحون بالعصي أثناء الكلام .

ويشترط في الخطيب جهورية الصوت ،وقوة الحجة ،وحضور البديهة ،وحسن الالتفات قوة الشخصية ،وله في أن يتلاعب بالصوت تضخيما وتنغيما حتى يسحر السامعين. ويؤخذ عليه الارتعاش والعي والتلجلج ،والخوف ،ومس الذقن والشوارب، وفي ذلك دليل على محاولة إنطاق الجوارح بما يعجز عنه اللسان .

ويميز الخطب الألفاظ الرقيقة ،والمعاني المألوفة ،وتأرجحها بين الطول والقصر، وهي الأكثرُ عددا وتفضل لسهولة حفظها وسماها الرواة بأسماء كالعجوز، والعذراء وأمهات الكتب تعج بخطب الجاهلية .

من خصائصها :

1- **قصر الجُمل** : فهي موجزة بليغة فصيحة تدرب عليها الجميع حتى الأميين ، موزونة في أغلب الأحيان .

2- **غياب المنهج** : قد يهجم الخطيب على غرضه دون مقدمات ،ويختم كلامه بلا خاتمة أو يبدأ بالعبارة المألوفة : (أما بعد) ومنهم من يُجري الأفكار كما يقذفها الخاطرُ.

3- **الاستشهاد بالشعر**: إما حشوا أو خاتمة .

4- **الصنعة** : لا تخلو خطبة من سجع ومثله .

1- **القصرُ** : خطب العصر الجاهلي قصيرة بالنظر إلى خطب العصرين الإسلامي والأموي يفضلونها لسهولة حفظها .

1- **بساطة الأفكار** : الأفكار واضحة ،بليغة محكمة الصياغة ،تقل فيها الروابط والأساليب واضحة تخاطب العقل والقلب معا ،تتميز بالقوة والإيجاز معان كثيرة في ألفاظ قليلة[1] .

ب- الخطابة في صدر الإسلام :

تمهيد : يُعد ظهور الإسلام انقلابا دينيا وسياسيا واجتماعيا ، إذ نسخ ديانات مختلفة وأزال من الأرض سلاطين أمم ، وقوض نظم إجتماع قديمة العهد مستعينا ببلاغة الكلام قبل تجريد الحسام. كما أحدث تغييرا في آداب العرب وعلومهم ، إذ أبطل بعضها كالكهانة وفروعها واحدث أخرى لم تكن معروفة من قبل ، بعضها اقتضاه الإسلام في العلوم الشرعية واللسانية ،وبعضها نقل عن الأمم الأخرى كالفلسفة والطّبيعيات والطّب[2]

الخطابـــــــــة

زاد الإسلام الشعر والنثر رونقا وارتقى شأنها قبل الشعر لكونها الوسيلة المثلى لمخاطبة الجماهير والتأثير في عواطفهم واستمالتهم بعد إقناعهم وجمع الأحزاب و إرهابها ثم أنه لم يرد في القرآن ما ينفر الناس منها كما ورد في الشعر والشعراء . وكان من دواعي ارتقائها :

1- ظهور الإسلام بين أمة أمية فكانت الخطابة وسيلة لإقناع الناس بالدين الجديد .

2- تباهي العرب بالفصاحة والارتجال في الخطابة واتساع مجال القول فيها وابتذال الشعر للتكسب به .

1- المرجع السابق ، ص 683 – 684 .
2- الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 2 ، ص 378 .

3- لاهتمام الإسلام بنظام الجماعة فكان التشريع في خطبتي الجمعة والعيدين .

4- كثرة الغزوات والحروب واستخدام الخطابة لتحفيز همم الرجال

وتناولت الخطابة في هذا العهد الدعوة إلى الإسلام والتوحيد وترك عبادة الأصنام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،فزادها الإسلام بلاغة وحكمة لتقليد الخطباء أسلوب القرآن، وترصيعهم لخطبهم بالآيات القرآنية تمثلا أو إشارة أو تهديدا ، فتميزت عن أسلوب الجاهلية بقوة العبارة وسهولة اللفظ وتجنب سجع الكهان وقلة سرد الحكم وتضمينها بعض الشعر .وزادت الخطابة قوة بنهضة العرب للحروب لما رأوه من ألسنة جديدة في البلدان الجديدة ،وربما كان الخطباء في الإسلام أكثر عددا [1] لأن الخلفاء والأمراء والقادة معظمهم من الخطباء ضف إلى ذلك النساك والزهاد .

فكثيرا ما توقف فتح بلد أو حصن على خطاب يتلوه قائد .ولعل أول الثورات ثورة أهل المدينة لما بلغهم موت الرسول –ص- فخاف الصحابة سوء العاقبة فهدأ أبو بكر النفوس بخطبته الشهيرة[2] ، وللخطابة أثرها في حل المعضلات السياسية من شرح خطة أو رد شبهة أو إعطاء أمان أو رد على أعداء.

وأعظم خطباء عصر صدر الإسلام الرسول –ص- والخلفاء ،والقواد وأشهرهم الإمام علي، ويأتي بعده زياد بن أبيه ،والحجاج بن يوسف ،وقطري بن الفجاءة، والأحنف ابن قيس ،والحسن البصري ،وغيرهم[3] .

<u>ومن سنن الخطابة</u> :

1- في صلاة الجمع الخطبة تسبق الصلاة .

2- والعكس في الأعياد .

3- تقسيم الخطبة إلى خطبتين .

1-. جرجي زيدان ،تاريخ آداب اللغة العربية ، ج1 ، ص 187.

2- الطبري (محمد بن جرير)، تاريخ الطبري ، ج3 ،طبعة أوروبا ، ،ص 37
3- المصدر السابق ، ج2 ، ص 115.

4- إلقاء الخطبة من على مرتفع ويكون الخطيب واقفا.

5- الاعتماد على قوس أو سيف أو عصا .

6- الإقبال على الناس بالتسليم .

7-الابتداء بالتحميد والشهادتين .

8- تلاوة بعض الآيات في الخطبة الأولى .

9- الجلوس بين الخطبتين في صلاة الجمع[1].

ومما قاله الجاحظ في خطب الرسول – ص – منوها : "جانب أصحاب التعقيد واستعمل المسوط في موضع السيط والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب والحوشي ،ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم بكلام إلا قد حُف بالعصبية وشد بالتأييد وسُير بالتوفيق وهو الكلام الذي أضفى الله عليه المحبة وغشاه بالقول وجمعه بين المهابة والحلاوة وحسن الإفهام وقلة عن الكلام هو مع استغنائه عن إعادته وقل حاجة السامع لمعاودته لم تسقط به كلمة ولا زالت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ،ولا يحتج إلا بالصدق ولا يستعين بالخلافة... ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أقصر لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم "[2] .

<u>الخطابة في عهد أبي بكر الصديق</u> :

اقتفى أبو بكر آثار الرسول –ص- فخطب في الأعياد والجمع والأحداث والمواقف ومنها : - لما مات الرسول –ص- موقف السقيفة حين توليه الخلافة. –حين الردة – إلى

1- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) ، عيون الأخبار ، ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973م ،ص 23 .
2- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 2 ، ص 57 .

جانب وصاياه لقادة جنده [1] وخطبته إلى المغيرة بن شعبة في القادسية ،وإلى خالد بن الوليد في اليرموك – وإلى عقبة بن غزوان . لقد سرى في نفسه بيان القرآن حتى صار كالسيف بلاغة وفصاحة ولسانا جاعلا من خطب الرسول –ص- منارات في خطبه[2] حتى صار في الذروة .

الخطابة في عهد عمر بن الخطاب :

رافقت الخطابة في عهده الأحداث كلها والأعياد الدينية والفتوحات ،وشجع عمر الخطباء على تصوير وجهات نظرهم في الجلسة فالحكم ديمقراطي، ويلاحظ توجه الخطابة نحو الوعظ والحض على الجهاد ،وأظهر نفاذ بصيرة عمر وصدق عزمه وبليغ لسانه أظهرت مكانته الخطابية إذ لم يُرد عليه عمل أو رأي ولقد فتحت في عهده فارس والشام[3].

الخطابة في عهد عثمان بن عفان :

استمرت الخطابة في عهده في اتجاهين اتجاه الوعظ بالمساجد ،واتجاه الجهاد لمدة عامين وبعد ذلك اتجهت إلى التأليب ،إذ بدأ الأنصار يؤلبون ضد المسلمين فكان ذلك حافزا لازدهارها ، فكان الأشطر النقعي أشهر من نار على علم في الكوفة داعيا للإطاحة بحكم عثمان يشاطره محمد بن أبي بكر الصديق السيرة في مصر[4].

يأتي عثمان بعد أبي بكر وعمر فصاحة وبلاغة وبيانا ،وبتبرير منه يرى أن الناس في حاجة إلى إمام عادل لا إلى خطيب [5] .

1- الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 2 ، ص 450 .
2- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ)، البيان والتبيين ، ج3، ط4، تحقيق و شرح د.عبد السلام محمد هارون دار الفكر،بيروت، ، ص 56 .
3- المصدرالسابق ، ج 2 ، ص 144.
4- الجاحظ البيان و التبيين، ج2،ص 56.
5-الطبري ، تاريخ الطبري،ج 3،ص 305

الخطابة في عهد علي بن أبي طالب :

ازداد عدد الخطب لكثرة الثائرين عليه في موقعة الجمل ،وكان أبو موسى الأشعري ممن جمع الناس على علي وناصره ، وممن ألبوا عليه الأشطر النقعي وزيد بن صوحان وأخوه سيحان ،والأشعب بن قيس .وللصراع بينه وبين معاوية ، ولتبادل الوفود بينهما لرتق الخرق .لما رآى عمرو بن العاص الخطر يهددهم ، ثم انقسم أصحاب علي إلى مفاوض ومستنفر ووسط ،لينتصر معاوية بعد عملية التحكيم، فوقعت المناظرات بين من بقي مع علي وبين من خرجوا عليه لتوظف الخطابة فيما بعد بين الفريقين .ويأتي علي بن أبي طالب في مرتبة عمر و أبي بكر[1].

الكتابة : لقد نوه القرآن الكريم بالكتابة وحض عليها في العهود والوصايا وأيدته السنة الشريفة وميدانها الوثائق المتبادلة والعهود والمواثيق والمعاملات ونشر القرآن. والرسول -ص- أول من نشرها بين الصحابة ،وعند نزوله بالمدينة كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار طلبا للوحدة والتعاون ،ومعاهدته مع قريش والملوك مثل النجاشي والمقوقس وهرقل وقد جعل لأسرى قريش خلاصة الواحد من أسره تعليم (10) من أبناء المدينة القراءة والكتابة ،واستخدمها الخلفاء في كل الأمور واشتهر فيها علي وعثمان وأبية بن كعب ،زيد بن ثابت ،خالد بن سعيد بن العاص وهو كاتب حوائج الرسول – ص- ومثله معاوية بن أبي سفيان ،والمغيرة بن شعب والحصين بن نمير والأخيران كتبا بين الناس وعبد الله بن الأرقم ، والعلا بن عقبة الحضرمي، وحنظلة بن الربيع ،وكلهم أتقنوا الكتابة وأجادوا فيها .وصارت الكتابة جزء أساسيا في أعمال الدولة الإسلامية فرقيت رقيا بليغا خاصة في عهد عمر بن الخطاب[2] .

التوقيعات :

عرف هذا العصر نوعا آخر من النثر إنه الملاحظات أو ما يسمى بالتوقيعات ، يضعها الخلفاء وولاة الأمور على ما يرد عليهم من رسائل الرعية في الشكوى أو طلب

1- د. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ، ط17، دار المعارف ، القاهرة ، ص 110-111
2-المرجع السابق،ص 129

الحاجة كردود أو إجابات موجزة للغاية وبليغة ومن أمثلة ذلك ما كتبه بعضهم إلى زياد يشكو عقوق ابنه له فرد زياد عليه في ذيل رسالته قائلا :" ربما كان عقوق الولد من سوء تربية الوالد" . وأجاب معاوية على كتاب فقال :"نحن الزمان ، من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع" ،ومن هذا النوع أيضا ما كان يبعث به الرؤساء إلى مرؤوسيهم من أوامر و نواه[1].

جـ - الخطابة في العصر الأموي:

أدى عدم تأثر سلائق العرب اللغوية بالأمم المجاورة إلى ازدهار الخطابة من حيث بلاغة المنطق وجودة الإفصاح والإفهام ، وحسن البيان ، حتى قدمهم الجاحظ على سائر الأمم بما في ذلك الفرس واليونان غير أن شوقي ضيف يقدم اليونان بفضل كتاب الخطابة لأرسطاليس ومن عوامل ازدهارها عند العرب الموهبة أوّلا ثم السياسة وموضوعها الخلافة ومن الأحق بها أبنو أمية أم هي حق شائع بين المسلمين ، أم ينبغي أن ترجع إلى سلالة علي، أم انها حق للعرب فلا تختص بها قريش .

واحتدم الصراع بين ولاة الأمويين وعلى رأسهم الحجاج ، والخوارج الذين انقسموا هم أنفسهم إلى أزارقة ونجدات وصُفرية وإباضية .كما دعا حزب عبد الله بن الزبير إلى عودة الخلافة إلى قريش بالحجاز وتبوء ثورة عبد الرحمان بن الأشعث الكندي بالكوفة على الحجاج بالفشل ويحاول يزيد بن المهلب إحياءها أوائل القرن الثاني الهجري عبثا."وكل ذلك هيأ في قوة لنشاط الخطابة السياسية "[2]إلى جوار نشاط خطابة قادة الجيوش وخطابة القبائل المتخاصمة .

هذا إلى جوار نشاط خطابة المحافل والوفود التي تعود إلى أيام الجاهلية وازدادت أيام الرسول –ص- وعهد الخلفاء الراشدين ،وتحولت الوفود إلى سيول عصر بني أمية تنوب عن أقوامها في البيعات والشكوى ،والتهنئة والتعزية وسميت محافل هذه الوفود بالمقامات.

1- المرجع نفسه،ص 465.
2- د.شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ،ص 407.

وصارت الخطابة جزءا من صلاة الجمعة والعيدين يستلهم فيها الخطباء خطبهم من القرآن والسنة إلى جوارهم جمهور عريض من القصاص[1].

وأبرزت هذه البيئة الدينية رقي العقل العربي الذي أصاب ثقافات أجنبية عدة، فنشب جدل حول مسائل العقيدة كارتباط الإيمان بالعمل ،وحرية الإرادة وهل الإنسان مخير أم مسير ومسألة صفات الله فتكونت فرق الجبرية والمرجئة والقدرية، والمعتزلة ، مما رشح لقيام المناظرات بين طوائف من أصحاب الديانات السماوية وغير السماوية ،كما انبثق علم الكلام ، فكان لهذا كله الأثر البعيد في رقي الخطابة أيام بني أمية[2]. وبروز خطباء في :

السياسة : نمت الخطابة السياسية نموا ملحوظا ،نطقت بها ألسنة مؤيدة أو معارضة، وراجت بها أفكار تحزبية ، فللخوارج خطباؤهم ،وللشيعة والزبيريين ولابن الأشعث كذلك ولبني أمية خطباؤهم يتقدمهم الخلفاء والولاة ولم يحفظ التاريخ خطبهم لتحرج الرواة في نقلها إلا أن بقية منها احتفظت بها كتب الأدب والتاريخ وخاصة كتاب البيان والتبيين[3].ويلقانا في المغرب العربي طارق بن زياد فاتح الأندلس .

خطباء الوعظ والقصص : نشط هذا النوع في العصر الأموي نشاطا كبيرا وقد أفرد الجاحظ في البيان صفحات كثيرة ذكر فيها أشهر الوعاظ والقصاص، فالقصاص وعاظ في الوقت نفسه ومن كبارهم الحسن البصري،وواصل بن عطاء رأس المعتزلة[4].والوعاظ يخطبون جالسين فهم محاضرون أكثر منهم خطباء يطلبون كل وسيلة بيان للتأثير على الناس فانتظم لهم أسلوب بديع دربوا عليه الناشئة في البصرة والكوفة إعدادا لعلم البلاغة العربية .

1- الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ص 273.
2- الطبري ، تاريخ الطبري ،ج 5 ، ص 50 .
3- الجاحظ ، البيان والتبيين ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ج 1 ص 242 وما بعدها .
4- المبرد، (أبو العباس محمد بن يزيد) ،الكامل في اللغة والأدب ،ج1، ط1 ،تحقيق محمد الدالي ،مؤسسة الرسالة، مكتبة المعارف، بيروت،1986 ، ص 640.

الكتابة والكتاب : لم يعرف من عرب الجاهلية القراءة والكتابة إلا القليل ،فلما جاء الإسلام حضهم على ذلك ،ثم تحولوا سريعا من أمة حافظة إلى أمة كاتبة اعتنت أول الأمر بأخبار آبائهم وأنسابهم وأشعارهم ومن أشهرهم دغفل[1].

وتكوّن في العصر الأموي جيل من الرواة يعنى بتدوين أخبار العرب في كلّ من البصرة والكوفة وعلى رأسهم أبو عمرو بن العلاء ،كما تكوّنت مدرسة دينية ،فاشتهر ابن عباس في مكة ودونت مغازي الرسول –ص- وأخبار الفتوح ،ومن المؤرخين محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة 146هـ ، وابن إسحق المتوفى سنة 150 هـ .

الرسائل السياسية : كما خلف العصر رسائل سياسية كثيرة تبادلتها فرق الخوارج والشيعة والزبيريين ومن نقموا على الدولة الأموية ،كما كتبها خلفاء بني أمية وولاتهم وقوادهم .

الرسائل الديوانية : يعود الفضل فيها لعمر الذي استعار هذا النظام من الفرس فكان ديوان الخراج والجند وفي عهد معاوية اتخذ ديوان الرسائل والخاتم، وكان ديوان الخراج يكتب في مصر والشام بالرومية ،وبالفارسية في العراق إلى عصر عبد الملك بن مروان فترجما إلى العربية ،فتكونت طبقة من الكتاب المحترفين وعلى رأسهم عمرو بن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق لفصاحته وروعة منطقه[2].

ويبدو أنهم كانوا يفضلون القصر في الرسائل ، ولا نصل إلى ديوان هشام بن عبد الملك حتى نحس برقي النثر على يد عبد الله بن سالم مولى هشام ، وعبد الحميد مكونين مدرسة في الكتابة بلغت الغاية المرتقبة[3] .

د- الخطابة في العصر العباسي :

توطئة : لقد عرف النثر العربي في العصر العباسي الأول تطورا خطيرا بانتقال ثقافة اليونان والفرس والهند إليه وكل معارف الأمم التي انضوت تحت لواء الخلافة

1- الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج1 ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ص 121 .
2- المصدر نفسه، ج1،ص 315

3-المصدر السابق،ج1، ص 315

العباسية ، وتم ذلك عن طريق النقل والترجمة ،وطريق تعرب شعوب الشرق الأوسط ونقل معارفهم وعاداتهم وطرائق معيشتهم فهيأ ذلك لظهور مدنية عربية في الأقاليم التي وصلها الإسلام.

فحمل النثر خلاصة هذه المدنية المختلفة الينابيع حتى غدا نهرا ترفده جداول من ثقافات تحولت عربية ،كما تحولت سيول من المعارف حتى الفلسفة والعلوم ، فعُرف النثر العلمي والفلسفي وحتى التاريخي على نحو ما كان عند الأمم القديمة ، كما تأثر بملكات اللغات الأجنبية خاصة الفارسية التي مثلها ابن المقفع بنقله للكثير من آداب الفرس الاجتماعية والأخلاقية ونظمهم في السياسة، وترجمته لقصص كليلة ودمنة الهندي الأصل مما كان له الأثر البالغ في الرسائل الديوانية والأدبية .

واستعدت العبقرية العربية لوضع العلوم اللغوية والشرعية والعلوم الطبيعية والكونية فكان للعرب علماء كمياويون ورياضيون ... كما أثمرت العبقرية العربية في المجال الفلسفي بيئات المتكلمين خاصة المعتزلة الذين خاضوا في العقائد الإيمانية وأدلوا فيها بآراء جديدة فصلها الشهرستاني في كتاب : "الملل والنحل" وما قيل في الأجسام والحركة والسكون والوجود والعدم والروح والنفس والعقل ، وإدراك الحواس والخير والشر[1]فكان لكل ذلك الأثر العظيم في النثر العربي من حيث الألفاظ والمصطلحات الجديدة ومن حيث دخائر الفكر الفلسفي اليوناني فعرفت صور من تحليل الأفكار وتركيبها لا عهد له بها .

وعرف القياس المنطقي وطرق الإستدلال والتعليل ودقائق المعاني ،وفرق بين أمور كثيرة ،كالفرق بين السبب والمسبب ،وما بين الحجة والشبهة ،والمعقول والموهوم،والبرهان الجلي والبرهان الخفي ...وقيض للتعبير عن هذه المعاني من نابهي المتكلمين والكتاب والمترجمين أسلوب بما لم يكن معروفا من قبل للعربية .، مع المحافظة على قوالبها وأوضاعها اللغوية ،وامتدت إلى استحداث أساليب مولدة مع الحرص على الوضوح وتجافي الغامض من اللفظ والمبهم من المعاني في أداء بليغ

1- د.شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)،ط12، دار المعارف، القاهرة، ص 441-442-443.

يروق الجميع بعذوبة منطقه ويلذ الأذان والقلوب والعقول معا مرتفعا عن الألفاظ العامية معتنيا بفصاحة اللفظ وجزالته ،مما أدّى بجهابذة اللغة إلى التساؤل طويلا عن أصول البيان والبلاغة لدى الأمم الأجنبية إذ يتعرض المعتزلي مُعمر لبهلة الطبيب الهندي في عصر البراكمة يسأله عن رأي أمته في البلاغة فيعطيه صحيفة مكتوبة بالسنسكريتية فيلقى معمر بالصحيفة التراجمة لينقلوها له إلى العربية وهي تدعو "الخطيب أن يلائم بين كلامه ومستمعيه، وأن يحرص على الوضوح ويتجافى عن الألفاظ الوعرة والأخرى الغامضة ،وأن لا يُنقح ألفاظه كل التنقيح إلا لمن حاز قسطا من الحكمة والفلسفة ممن خبروا الكلام والمعاني ،وأن يحرص على استخدام الألفاظ المحددة البينة التي تفي بمعانيها وتؤديها أداء سليما دون زيادة أو نقص"[1].

مما جعل المتكلمين يحيطون بمعرفة أصول براعة القول أثناء المناظرات في المسائل الدينية وما يتصل بها من المعاني الفلسفية ،التي تعود مقدماتها إلى العصر الأموي في المساجد. ويستمر السؤال طوال العصر عن البلاغة وقطبها وتتعدد إجابات المعتزلة من مثل قول العتابي لسائل سأله عن البلاغة والبليغ فقال : "كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ ،فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب فإظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق فقال له السائل :قد عرفتُ الإعادة و الحبسة ،فما الاستعانة ؟ قال :أما تراه إذ تحدث قال عند مقاطع كلامه : يا هناه ،ويا هذا ،ويا هيه، واسمع مني ،واسمع إلي ،وافهم عني، أو لست تفهم ؟أو لست تعقل ؟ فهذا كله وما أشبهه عيٌ وفسادٌ" [2] .ولعل صحيفة بشر بن المعتمر في البلاغة المحفوظة في البيان هي أروع ما أثر عن المتكلمين المعتزلة في البلاغة يشاركهم في اهتمامهم بها كتاب الدواوين والمترجمون وعلى رأسهم ابن المقفع يكفي أن الدواوين تحولت إلى ما يشبه مدارس بيانية، وعلى الشاب المقبل على وظيفة أن يتعرض إلى امتحان قاس يثبت إتقانه لصياغة الكلام ، حتى ليقول الجاحظ : "أما أنا فلم

1- المرجع السابق، ص441-442-443
2- الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1،ص 113-114

أر قط أمثل في طريقة البلاغة من الكتاب فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطاً سوقيا" [1].

معنى هذا كله أن أسباب ازدهار النثر قد تهيأت ومنها عدم حدوث ازدواج في اللغة يُعرضها للضعف أو الضياع ،وبذلك أينعت فُروع جديدة في شجرتها الكبيرة ، فتفتحت أزهارها وأثمرت بفضل كبار الكتاب والمترجمين والمتكلمين الذين احتفظوا لها بأصولها مستخلصين رحيقها البلاغي الذي طالما غذى عقولا وشفى قلوبا .

الخطب والوعظ والقصص في العصر العباسي :

1-الخطب : عرفت الخطابة السياسية نشاطا في مطلع هذا العصر إذا اتخذت أداة لإظهار حق العباسيين في الحكم ،فأبو العباس السفاح يتحدث عن قرابتهم للرسول –ص- مستشهدا ببعض الآيات الخاصة بأهل بيت النبوة ،ويشير إلى السبئية من الشيعة الغالية التي تطمع في الخلافة ،ويتحدث عن ظلم الأمويين للرعية [2]. ونهج عمه داود بن علي نهجه وقد أشاد الجاحظ ببيانه وبلاغته .

ولم يكن في العباسيين من هو أبين من أبي جعفر المنصور ،ولما اندلعت ثورة محمد ابن عبد الله بن الحسن العلوي الملقب بالنفس الزكية بالمدينة سنة 145 هـ تكاتبا وكل منهما يؤكد حقه في الخلافة وإرثها عن الرسول –ص- وأخمدت هذه الثورة بسرعة وتضاءلت حركة الخوارج ، وكممت الأفواه فضعفت الخطابة السياسية ،ثم ظهرت في فتنة الأمين وحروبه مع المأمون ولكنها لم تكن بروعة الأساليب أيام الأمويين.

وضعفت الخطابة الحفلية التي عهدت في عصر بني أمية لتوقف وفود العرب على قصور الخلفاء واقتصرت على بعض المناسبات كأن يموت خليفة ويخلفه آخر فيقف الخطيب معزيا ومهنئا، من مثل قول ابن عتبة مهنيا المهدي ومعزيا إياه في أبيه المنصور: "آجر الله أمير المؤمنين قبله، وبارك لأمير المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده ،فلا مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ولا عقبى أفضل من وراثة مقام

1- المصدر السابق، ص 116
2- الطبري، تاريخ الطبري، ج6، ص 81 وما بعدها.

أمير المؤمنين ،فأقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية، واحتسب عنده أعظم الرزية" [1].

واستمرت الخطابة الدينية مزدهرة يشارك فيها خلفاء وولاة هذا العصر كما كان يحدث في العصر الأموي ،إذ وردت في العقد الفريد خطبة بارعة للمهدي، وأخرى رائعة للرشيد[2].

وكانت سنة تكليف الرشيد الأصمعي بإعداد خطبة للأمين، وتكليف إسماعيل اليزيدي وابن أخيه أحمد بتحضير أخرى للمأمون سببا في ضعف الخطابة الدينية على ألسنة الخلفاء وقد كان المأمون معروفا بالفصاحة وحلاوة اللفظ وقد روى له ابن قتيبة خطبة في عيد الفطر وأخرى في الأضحى وثالثة في يوم الجمعة .

2-الوعظ : ولكنها أينعت في بيئة الوعاظ والنساك في مساجد بغداد والبصرة والكوفة يعظون الجميع حتى الخلفاء إلى حد البكاء ومن كبارهم عمر بن عبيد المعتزلي واعظ المنصور ،وصالح بن عبد الجليل واعظ المهدي ،وابن السماك واعظ الرشيد ويروى أنه دخل على الرشيد فقال له عظني فقال: "يا أمير المؤمنين: اتق الله وحده لا شريك له واعلم أنك واقف غدا بين يدي الله ربك ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالثة لهما جنة ونار فبكى هرون حتى أخضلت لحيته" [3].

لقد عرف عن الولاة في هذا العصر جمعهم بين الولاية والصلاة ،ثم تكليف غيرهم بالخطبة والصلاة كما فعل محمد بن سليمان العباسي والي البصرة والكوفة أيام المنصور والمهدي[4].وكان هؤلاء الوعاظ يستمدون وعظهم من القرآن والسنة وأقوال الصحابة ومن سبقوهم في العصر الأموي كالحسن البصري .

3 -القصص : كان الكثير من الوعاظ يمزجون وعظهم بالقصص الديني ،على نحو ما كان عند الأمويين، ومن قصاص هذا العصر موسى بن سيار الأسواري ، الذي

1-الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 2 ، ص 192 .

1- ابن عبد ربه ،العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وإبراهيم الأبياري،ج3، نشر لجنة التأليف و الترجمة، القاهرة،1955، ص 102

2- الطبري، تاريخ الطبري ، ج6 ، ص538 .

4- الجاحظ ، البيان و التبيين ،ج2 ،ص 129.

تساوت فصاحته في العربية بفصاحته في الفارسية حتى لا يُدرى بأي لسان هو أبين، ومثله عثمان بن سعيد بن أسعد ، ثم يونس النحوي ثم المعلى يتقدمهم أبو موسى الأشعري. وممن أفنوا العمر في القص أبو علي الأسواري (وهو عمرو بن فائد) ،ثم قص بعده القاسم بن يحي (وهو أبو العباس الضرير) وكان يقص معهما وبعدها مالك بن عبد الحميد المكفوف. وسمع سفيان بن حبيب (أحد كبار المحدثين) صالحا المري (أبو بشر) فقال عنه (ليس هذا قاصا، هو نذير) .

ويذكر أنه عزى عبد الحميد بن الحسن قاضي البصرة فقال :" إن كانت مصيبتك في ابنك أحدثت لك عظة في نفسك ،فنعم المصيبة مصيبتك، وإن لم تكن أحدثت لك عظة في نفسك ،فمصيبتك في نفسك أعظم من مصيبتك في ابنك " [1] .

وعلى أيدي هؤلاء وألسنتهم ارتقت صناعة النثر إذ شعبوا وفرعوا وأضافوا إلى ذلك عناية عريضة بأساليبهم تقوم على اختيار الألفاظ الدقيقة والإحساس المرهف بجمال السبك والصوغ ،وقادهم ذلك أحيانا إلى توظيف السجع على نحو ما يروي الجاحظ عن الفضل بن عيسى الرقاشي أنه كان سجاعا ومن وعظه : "سَل الأرض فقل من شقّ أنهارك وغرس أشجارك ،فإن لم تحبك حوارا أجابتك اعتبارا" [2] .

1- **المناظرات :** لقد قل اهتمام مؤرخي الأدب العباسي بالحديث عن المناظرات رغم نشاطها بين المتكلمين والفقهاء وأصحاب الملل والنحل وانشغال الناس بها لانعقادها في المساجد أين يلتقي المتناظرون من الشيعة والزنادقة والمتكلمين، للتحاور في المسائل العقيدية والفلسفية وغيرها ،كما تناظر الفقهاء ومناظرة الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني مشهورة .

ناظر المعتزلة غلاة الشيعة مثل شيطان الطاق ، وهشام بن الحكم ،وجادلوا أصحاب الملل السماوية ،والنحل غير السماوية من الدهرية والمانوية ،ومن أشهر المعتزلة أبو الهذيل العلاف المتوفى سنة 230 هـ . وناظر يوما مجوسيا فسأله: "ما تقول في النار ؟

1- الحاجظ ، البيان و التبيين،ج2،ص 82
2-المصدر نفسه، ج2،ص 82

قال: بنت الله ،قال فالبقر ؟ ،قال ملائكة الله قص أجنحتها وحطها إلى الأرض يُحرث عليها قال :فالماء ؟ قال : نور الله، قال أبو الهذيل : فما الجوع والعطش ؟ قال :فقر الشيطان وفاقته ، قال أبو الهذيل : فمن يحمل الأرض ؟ قال : بهمن الملك. حينئذ قال أبو الهذيل : فما في الدنيا شر من المجوس أخذوا ملائكة الله فذبحوها ،ثم غسلوها بنور الله ، ثم شووها ببنت الله ،ثم دفعوها إلى فقر الشيطان وفاقته، ثم سلخوها على رأس بهمن الملك أعز ملائكة الله فانقطع المجوسي وخجل مما لزمه"[1] .

وكان ابن أخته النظام في مرتبته في الجدل والإقناع وإفحام الخصوم ،وفي "الحيوان" مناظرات تدل على رقي العقل العربي في هذا العصر أريد بها البرهنة على عجائب تدبير الله في خلقه .وبذلك فضل المعتزلة الجدل العقلي على النسك والعبادة ، وجعلوه فوق الحج والجهاد ،تميزه دقة المعاني وحسن السبك والأداء ، وتعهد الكلام مما أدى بالنثر إلى تطور واسع في مضامينه الجديدة التي لم تكن معروفة من قبل ، مما أدى بالمتكلمين والمتناظرين إلى البحث عن أصول البلاغة العربية .

1-د.شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 458

المحاضرة الثالثة : " نصوص من خطب صدر الإسلام "

من خطب الجهاد : للإمام علي بن أبي طالب

1- التعريف بالخطيب :الخطيب هو الإمام علي بن أبي طالب ،المولود نحو 23 قبل الهجرة ،تربى في بيت مجد ،فهو أول صبي لبى الدعوة ،فشب متشبعا بآداب الإسلام، حفظ القرآن وروى الحديث ،كان أحد العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين،دامت خلافته نحو خمس سنوات ،تميز بالذكاء والفصاحة والعلم والشجاعة، عده النقاد أول ثلاثة سمت بهم الخطابة في العصر الإسلامي ثانيهم زياد بن معاوية وثالثهم الحجاج قتله غيلة الخارجي عبد الرحمن بن ملجم سنة 40 هـ [1]

2- مناسبة النص : أيام الخلاف الذي كان بين علي ومعوية وبتدبير منه قتل سفيان بن عوف الأسدي حسان البكري أمير الأنبار من قبل علي، فحث علي قومه على الجهاد، موبخا إياهم على تباطئهم فقال خطبة طويلة هذا جزء منها :

3- النص :

أ- أما بعد فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة ،فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل وأشمله البلاء وألزمه الصغارَ، وسامه الخَسفَ.

ب- ألا وإني دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ،وسرا وجهارًا، وقلتُ لكم أغزوهم قبل أن يُغزوكم ،فوالله ما غُزي قوم قط في عُقر دارهم إلا ذلوا ،فتواكلتم وتخاذلتم وثقُلَ عليكم قولي ،فاتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شُنت عليكم الغارات. هذا سفيان بن عوف قد بَلغت خيالته الأنبار وقتلوا حسان البكري ،وأزالوا خيلكم عن مسارحها ،وقتلوا منكم رجالا صالحين ،ثم انصرفوا وافري الغنائم ما نال رجُلٌ من

1- أبو الفرج الأصفهاني ،الأغاني (طبعة الساسي) ، ج9، ط2، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، ،بيروت، 1973م ، ص01 .

رجاله كُلٌّ ،ولا أريقَ لهم دمٌ، فلو أن امرَّ مؤمناً مات من بعد هذا أسفا ما كان عندي ملوما بل كان عندي جديرا .

جـ - فوا عجبا من جد هؤلاء في باطلهم وفشلكم عن حقكم .قبحا لكم حين صرتم غرضا يُرمى ،يغار عليكم ولا تغيرون :تُغزون ولا تغزون ،يُعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالمسير إليهم في الصيف قُلتم هذه حمارةُ القيظ أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر .وإذا أمرتكم بالمسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القُر،أمهلنا حتى ينسلخ عنا البردُ، فأنتم والله من السيف أفر .

د- يا أشباهَ الرجال وعقولَ ربات الحجال ،إني لوددت لو أخرجني الله من هذه الدنيا وقبضني إلى رحمته ولم أركم ولم أعرفكم ، والله لقد ملأتم قلبي قيحًا وشحنتم صدري غيظا وجرعتموني الموت أنفاسا ،وأفسدتم علي رأيي ،بالعصيان والخذلان حتى قالت

قريش إن ابن أبي طالب شُجاعٌ ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم وهل منهم أحد أشد لها مراسا وأطول تجربة مني ،لقد مارستها ولم أبلغ العشرين ،فما أنا قد نيفتُ عن الستينَ... ولكن لا رأي لمن لا يُطاعُ [1] .

النص الثاني : **في تهديد أهل البصرة : للحجاج بن يوسف الثقفي** .

1- <u>التعريف بالخطيب</u> : هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، ولد في الطائف عام 41هـ عمل معلما ،ثم انظم إلى جيش الأمويين تألق نجمه فقاد جند عبد الملك، صار واليا على الحجاز ثم على العراق ، فعمل على إخماد الثورات حتى توفي سنة 95 هـ .

<u>2- مناسبة الخطبة</u> : لما ولي الحجاج العراق كان فيها من الاضطرابات نار ضد بني أمية فبدأ الحجاج ولايته بالشدة لما رأى تباطأ أهل العراق في نصرة المهلب بن أبي صفرة في قتاله للخوارج ،فذهب إلى الكوفة سنة 75 هـ فخطب في أهلها مهدّدا ومتوعّدا

1- المسعودي ، (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي) ، مروج الذهب و معادن الجوهر،(طبعة باريس) ج4، ط1، دار الأندلس ،بيروت ، 1965، ص 441.

ومنكلا ببعض أهلها ،فخضع الناس وتسارعوا إلى نصرة المهلّب .ثم ذهب إلى البصرة وألقى خطبة مماثلة[1] ، وهذا نصها :

3- <u>النص :</u> أيها الناس مَن أعياهُ داؤه فعندي دواؤه ،ومن استطال أجله فعلي أن أُعجله، ومن ثقل عليه رأسه ،وضعت عنه ثقله ،ومن استطال ما ضي في عمره ،قصّرت عليه باقيَهُ.

إن للشيطان طيفا ،وللسلطان سيفا ،فمن سقُمَت سريرته ،صحّت عقوبته، ومن وضعه ذنبه ،رفعه صَلَبُه ،ومن لم تسعه العافية، لم تضق عنه الهلكة، ومن سبقته بادرة فمه سبق بدنه بسفك دمه .

إني أنذر ثم لا أُنظرُ، وأحذر ثم لا أعذرُ، وأتوعّدُ ثم لا أعفو، إنما أفسدكم ترنيق* وُلاتكم .ومن استرخى لَبَبُه، ساء أدبُه. إن الحزمَ و العزمَ سلباني سوطي، وأبدلاني به سيفي فقائمه في يدي ،ونجاده في عنقي، وذبابه قلادة لمن عصاني. والله لا آمُرُ أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذي يليه إلا ضربت عُنُقه[2] .

من خصائص الأسلوب الخطابي في النص : القيام على الأسلوب التصويري ذي الألفاظ الجزلة الفخمة ،قصر الجمل ،والاهتمام بالسجع ،وتقسيم الفقرات ،وترتيب الأفكار والإلحاح عليها بالترادف ،واستخدام أساليب التوكيد والقسم ،كما تمتاز الخطبة بقوة ألفاظها وملاءمتها لموقف التهديد والوعيد ،وفيها الموسيقى الحربية الصاخبة انطلاقا من الألفاظ والأساليب [3].

2- د.شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص 420 .

1-الجاحظ ،البيان والتبيين ، ج 2 ، ص 301

*ترنيق :ضعف وتساهل – اللبب : ما يُشد في صدر الداية ليمنع استرخاء الرحل

2- د.شوقي ضيف ، العصر الإسلامي ، ص 420 – 421

المحاضرة الرابعة : " الأمثال والحكم "

1- **الأمثال** : أصل الكلمة ومعناها :قال أحمد بن فارس : "الميم والثاء واللام :أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء ،وهذا مثل هذا أي نظيره ،والمثل المضروب مأخوذ من هذا لأنه يذكر مُورّى عن مثله في المعنى "[1] .

وللمثل صيغة جامدة وإن تبدل المخاطبون بها .كقولك : "أعط القوس باريها " بسكون الياء ،وحقها الفتحة الظاهرة ،والعرب الساميون ضربوا الأمثال قبل إعطائها هذا الإسم لرغبتهم في عقد المقارنات التصويرية بين الأوضاع المتماثلة .

والمثل في نظر البلاغيين شكل من أشكال الصور البيانية لأن ضربه يعني أن حالا تشبه حالا ،فهو إما تشبيه أو إستعارة ،ولقد برع العرب في ضربها في الخطب والوصايا وازداد اهتمام علماء اللغة بها لوجود ثروة لغوية ضخمة بها ،ثم انتقل الإهتمام بها إلى الأوروبيين سنة 1951 م .

ويرجع التأليف في الأمثال إلى القرن الأول الهجري ،على يد عبيد بن شرية الجرهمي وعلاقة بن كريم الكلابي، وصحار بن عياش العبري ،ثم ضاعت هذه المؤلفات في وقت مبكر. وقد يكون كتاب "الأمثال" للمفضل بن محمد الضبي (ت نحو 170 هـ) أقدم ما ألفه الأقدمون في الأمثال[2].

والمثل قول محكي يدور على الألسنة ويمتاز بقوة العبارة وإيجاز اللفظ، وإصابة المعنى ودقة التشبيه ،فهو نهاية البلاغة. وللمثل مورد وهو الحادثة التي ورد فيها ومضرب .

نماذج من الأمثال :

- وافق شنّ طبقة : يضرب لمن تساوا في القوة (أو العقلية) .

1- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، المجلد الأول، دار الجيل ، غ.ط ، ص 686.

2- د. غازي طليمات ، عرفان الأشقر ، الادب الجاهلي ، ص 686، 687 ، 688

- إذا عزّ أخوك فهن : يضرب في اللّين والتسامح مع الأقارب كما فعل هذيل بن هبيرة التغلبي بعد قتاله لبني ضبّة .

- أخلف من عرقوب - إذا كنت في قوم فاحلب في إينائهم – بلغ السيل الزبى – إن البغاث بأرضنا يستنسر – تلدغ العقرب وتصيء – أحشفا وسوء كيلة – إنك لا تجني من الشوك العنب – إذا كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا – أهدى من قطاة – إن غدا لناظره قريب – إن الحديد بالحديد يفلح – اظمأ من رمل – أبخل من مادر.

2**- الحكم** : لون نثري ازداد ازدهارا في العصر العباسي يقوم على التجارب واستخلاص العبرة منها ،وهي قول رائع يمثل حكما مسلما به ويصدر عن ذي تجربة ، وتتفق مع المثل في الدقة والإيجاز ، وقوة العبارة ، ووضوح الفكرة ،وجمال الصياغة ، وتختلف عنه في عدم وجود حادثة ذكرت فيها ،ومن مقاصدها توجيه الناس إلى السلوكات القويمة ومن نماذجها : [1]

- رب عجلة تهب ريثا .

- خير الموت تحت ظلال السيوف .

- حسبك من شر سماعه .

- خير العلم ما نفع .....

1-المرجع السابق،ص 686.

المحاضرة الخامسة: السّرد " حكايات ألف ليلة وليلة

توطئة : يقصد بالسّرد الرّوايات وهي "رومان" كما عند الافرنج مفردها رواية وهي القصّة عند العرب ،وللرّواية شأن كبير في الآداب الأجنبية ، وهي من أضعف فروع الأدب العربي ،يعالج الأخلاق والعادات والآداب في قالب قصصي وقد تمثل وتسمى في اصطلاحهم " دَرامَ " .

لم يعر العرب فن السّرد اهتماما عند نقلهم علوم اليونان أو الرّومان ولم يلتفتوا لا للإلياذة ولا للإنياذة ولا لغيرهما ،واكتفوا بما نقله عبد الله بن المقفع ، وجبلة بن سالم عن الفارسية من مثل كليلة ودمنة وكتاب رستم واسفنديار ،وكتاب الأدب الكبير ،وهزار أفسانة وغيرها .

وممّا نقل عن الهندية كتاب سندباد الكبير والصغير ،وكتاب بوداسف، وكتاب أدب الهند وغيرهما وقد تلف أكثر هذه الترجمات وتغير ما بقي منها عن أصله .

ومن أشهر القصص المتداولة قصة عنترة – وألف ليلة وليلة – وأبو زيد الهلالي والزير سالم ،والملك سيف، والملك الظاهر ،وعلي الزيبق، وفيروز شاه وغيرها .قسمٌ موضوعٌ ووقع فيه توسّع وضعه العرب من عند أنفسهم ،ويرجع في الغالب إلى تصوير مناقب الجاهلية كالحماسة والوفاء وحسن الجوار والشجاعة والعصبية والثأر تمثلها أخبارهم وأيامهم المشهورة .وتتلى هذه القصص لدفع الجند وتحميسهم أثناء الفتوحات،كما تتلى أشعار عنترة .ثم وسعوا بعض تلك الأخبار في شكل روائي مشوق يفيض مبالغة لإثارة الحماس ،ولتقريبها من الحقيقة أسندت أخبارها إلى بعض الرواة المشهورين مثل الأصمعي وأبي عبيدة ،ونسي مؤلفوها الحقيقيون ،وقد ازدهر هذا الفن في العصر العباسي الثالث، ولم يصل من هذه القصص كاملا ناضجا إلا قصة عنترة .وقصة البراق وهو شاعر قديم من ربيعة من أقرباء المهلهل وكليب ،وقصة بكر وتغلب ابني وائل فيها خبر حرب جساس مع كليب وهي أقرب إلى التاريخ منها إلى الرواية

أضيفت لها قصائد وتفاصيل وهي منسوبة إلى محمد بن إسحاق هي في 120 صفحة وقصة شيبان مع كسرى أنوشروان، وإن كانت قصة تاريخية فهي أقرب إلى الرواية الخيالية . ثم الروايات الغرامية وهي قصص العشاق العذريين[1].

والقسم الثاني منقول يمثل آداب الأمم التي نقل عنها وأكثرها نُقل عن الفرس والهند واليونان ضاعت كلها ولم يصلنا منها إلا ما في رواية ألف ليلة وليلة من القصص:

ألف ليلة وليلة :

هي مجموعة قصص في بضعة آلاف صفحة ،عددها 200 قصة تتمايز بين العامية والفصحى تتخللها شعر موضوع أكثره مكسور ركيك في 1420مقطوعة كلّها حديثة، اختلف الباحثون في أصلها وتاريخها وأصلها عند العرب نقل عن الفارسية قبل القرن الرابع الهجري وهو كتاب "هزار أفسانة" أو أفسان ،وتفسيره في الفارسية "خرافة " والناس يسمونه "ألف ليلة وليلة "[2] وعنه يقول ابن النديم البغدادي :" إن ملكا من ملوكهم كان إذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد ،فتزوج بجارية من أولاد الملوك لها عقل ودراية يقال لها شهرزاد ...فلما حصلت معه ابتدأت تُخرّفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث،إلى أن أتى عليها ألف ليلة وهو مع ذلك يطؤها إلى أن رزقت منه ولدا أظهرته ،وأوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال إليها واستبقاها ،وكان للملك قهرمانة يقال لها "دينار زاد " فكانت موافقة لها على ذلك ، وقد قيل إن هذا الكتاب لحماني (الصحيح أهما) ابنة بهمن وهذا الوصف ينطبق على ألف ليلة وليلة تمام الانطباق"[3] .

وأسلوب قصص هذا الكتاب وألفاظه ،وبعض محتوياته من العادات والآداب الاجتماعية وأسماء الحكام والمماليك ورجال الدولة تدلّ على أنها ألفت حوالي القرن العاشر الهجري وأكثر تلك الزيادات حدثت في مصر، وسوريا والعراق، ولهذا يصح اعتبار "ألف ليلة وليلة " من مؤلفات العرب وإن كان بعضها ما يزال على الأصل

1- د. جرجي زيدان ،تاريخ آداب اللغة العربية ، ج1 ، ص 602 وما بعدها
2-المسعودي ، مروج الذهب ، ج 1 ، ص 307 .
3- ابن النديم ، الفهرست ،ج1، طبعة ليسبك، سنة 1872 ، ص 207

الفارسي ،فيها ما يدل على الإنهماك في اللّذات والتّهتّك ،وفيها من قصص العفاريت وعجائب الخلق والحوادث الغريبة ممّا كان يصوره الوهم والخيال في ذلك العصر وتنامى بالمبالغات كغرائب ما شاهده السندباد البحري في أسفاره من الأسماك الكبيرة الحجم ذات المئات من الأذرع طولا ومنها ما هو بصفة البقر والحمير ،والوادي الذي حجارته من الماس ويعج بالأفاعي عجيجا وطير الرخ الصغير الذي يشبع عشرات من الناس وإذا كبر سطا على السفن وغيره ممّا لا يقبله عقل اليوم وهو لم يوضع دفعة واحدة وإنما نما بالتناقل يجمع بين الحقيقة والخرافة ، وتستوي في المبالغات سائر الأمم .

ويتخلل " ألف ليلة وليلة " قصص قصيرة أبطالها المشهورون من العرب بالجود أو الحلم أو الوفاء ،أمثال حاتم الطائي ،يحي البرمكي ،وابنه جعفر والفضل ، وإبراهيم بن المهدي ، واسحق الموصلي ، والرّشيد والمأمون وغيرهم . وفيها قصص مغزاها حسن تمثّل الصّبر والتّعقل والحكمة والتّبصّر في العواقب ،بعضها يقترب من التاريخ وبعضها خرافات على ألسنة البهائم كقصّة الدجاجة والبطّة والأسد وغيرها [1].

وعموما فإن تاريخها الحديث يبدأ من ترجمة المستشرق الفرنسي أنطوان جالان لها عام 1704م إلى الفرنسية بتصرف شديد ، وصار الجميع يترجم عنه طيلة القرن الثامن عشر وما بعده ، كما كانت مصدر إلهام للعديد من الرّسّامين والموسيقيين ، ومن حكاياتها:

- حكايات الملك شهريار وأخيه الملك شاه الزمان
- حكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع
- حكاية التاجر مع العفريت
- حكاية الملك يونان والحكيم دويان
- حكاية الحمال مع البنات

إلى غيرها من الحكايات .

1- د. جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج 1 ، ص 606 وما بعدها .

المحاضرة السادسة : الحكاية على لسان الحيوان (كليلة ودمنة)

1- التعريف بالكاتب :

هو أبو محمد عبد الله روزبة بن دزوية ،المعروف بابن المقفع ،ولد في قرية "جور" فيروزباد حاليا بفارس ،تثقف ثقافة فارسية فيها ثم انتقل إلى البصرة لاستكمالها في آل الأهتم حيث عاش مولى أخذ عنهم الفصاحة ،فأعجب به الولاة الأمويون ووظف كاتبا كعبد الحميد الكاتب في العشرين من العمر عند كل من عمر بن هبيرة ،ويزيد بن عمر بن هبيرة، بالعراق ثم لأخيه داود بن هبيرة ،انتقل أيام العباسيين إلى عيسى بن علي عم السفاح والي الأهواز وأسلم على يديه ،وعلّم أولاد أخيه ،حتى قتله والي البصرة سفيان بن معاوية في عهد المنصور سنة 142 هـ عن عمر يتجاوز 36 سنة.

2- كتاب كليلة ودمنة : هو كتاب في تهذيب النفوس من وضع الفيلسوف الهندي بيدبا منذ عشرين قرنا ونيف للملك الهندي دبشليم الذي حكم الهند بعد فتح الأسكندر وطغى فأراد بيدبا إصلاحه ،فألف الكتاب جاعلا النصح فيه على ألسنة الحيوانات والطيور على عادة الهنود البراهمة القدامى الذين كانوا يروون الحكمة على ألسنة البهائم لاعتقادهم بتناسخ الأرواح .وقد تعود القصص المتداولة بين الناس إلى أصلها الهندي وأمثال بيدبا كثيرون لكنه يعد أول من فتح هذا الباب .

والنصح في هذا الكتاب يوجب الابتعاد عن سماع كلام النمام، ويبين وخامة عاقبة الأشرار، ومنافع الأصدقاء ،والتحذير من كيد الأعداء ،ومضار الإهمال والغفلة ، وآفة التسرع ،وأهمية الحزم ،وعدم الاعتماد على أصحاب الحقد وغيره مما يهّذب ويصلح ويرقي في حكايات يتفرع بعضها من بعض .

وقد كُتب بادئ الأمر باللغة الهندية السنسكريتية في 12 بابا ،ثم نقل إلى لغة التّبيت، ثم السريالية ثم الفهلوية أي الفارسية القديمة ،وعنها ترجمه ابن المقفع إلى العربية مصدرا إياه بمقدمة بعنوان "عرض الكتاب " بها وصف للكتاب ودعوة إلى قراءته ،وعند اطلاع العرب على فوائده أخذوا يتدارسونه ،وكأن علماء اللغة وأدباءها حسدوا

ابن المقفع على السّبق في ترجمته.فأقدم بعضهم على نقله ثانية ، واشتغل الآخر بنظمه شعرا تسهيلا للحفظ ،وتعرض آخرون لمعارضته [1] .

وضاعت كل الترجمات إلا ترجمة ابن المقفع ، التي عرفت تعديلات بتوالي الأزمان بين تنقيح وتصدير وتذليل ، حتى وصلت أبوابه 21 بابا. بين هندي الأصل وفارسي وعربي.

فالهندية 12 وهي : مقدمة باب الأسد والثور، الحمامة المطوقة ، البوم والغربان، القرد والغيلم، الناسك وابن عرس ،الجرذ والسنور، الملك والطائر فنزة، الأسد وابن آوى، اللبؤة وبلاذ وأبرخت، السائح والصائغ، ابن الملك وأصحابه .

والفارسية ثلاثة : مقدمة برزوية ، وباب بعثة برزوية، وباب ملك الجرذان ، وهناك أبواب ستة لم تكن قد عرفت قبل ترجمة ابن المقفع للكتاب بالعربية وهي : مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلي بن الشاه الفارسي ، وباب عرض الكتاب لابن المقفع ،وباب الفحص عن أمر دمنة ،وباب الناسك والضيف ، وباب مالك الحزين والبطة وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين ،وبعض هذه الأبواب غير موجودة الآن في النسخ المطبوعة و الترجمة العربية .

ثم ضاع الأصل الهندي ،والترجمة الفهلوية ،وبقيت الترجمة العربية ،وعنها نقل إلى السريانية مرة ثانية ،وإلى اليونانية والإيطالية ،والفارسية الحديثة ،والتركية والعبرانية واللاتينية ،والإسبانية والملقية والانجليزية والروسية ،ونقل عن بعض هذه التراجم إلى لغات أخرى .

وطبع كليلة ودمنة في العربية مرارا منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى يومنا وقد ضبطه بالشكل الشيخ خليل البازجي ،وأدى اهتمام العرب به إلى نقله شعرا [2].

1- من الذين عملوا على نقله: عبد الله بن هلال الأهوازي ليحي بن خالد البرمكي في خلافة المهدي سنة 165هـ ومن الذين نظموه : أبو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي أيام المنصور والمهدي .
-أبّان اللاّحقي- ابن داود كاتب زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد - ونظم بعضه بشر بن المعتمر .
وضاعت كل هذه المنظومات ،ثم نظمه ابن الهبارية (ت: 504 هـ)
-ابن مماتي المصري (ت: 606 هـ)، وجاء بعده عبد المؤمن بن الحسين في القرن السابع الهجري ومن الذين عارضوه: سهل بن هارون الفارسي الذي نظم كتابا على مثاله أيام المأمون سماه: "كتاب ثعلة وعفرة " .
1- د. جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج 1 ، ص 438 – 439 .

المحاضرة السابعة : المقامات "المقامة البغدادية للهمذاني

تعريف المقامات:

1- لغـــــــــة

المقامات فن قصصي من إنشاء بديع الزمان الهمذاني في القرن الرابع الهجري، جمع بين الشعر والنثر ،وتعني لغة المجلس أو النادي ثم تطورت دلالتها فصارت تعني الحديث الذي يُلقى على الناس بغرض النّصح أو التثقيف أو التّسوّل .

تقوم المقامات على حدث طريف ،مغزاه معالجة مسألة دينية ،أو مفارقة أدبية ، أو مغامرة مضحكة تحمل نقدا أو ثورة أو سخرية في إطار من الصنعة اللفظية .

2- اصطلاحا :

فهي أحاديث تلقى في جماعات وهي أقرب إلى القصة القصيرة المسجوعة مثقلة بالبديع في أساليب وألفاظ أنيقة مع إيراد الغريب من اللفظ ،بطلها نموذج إنساني وهمي واحد مكد، تكون عادة شخصيته ساخرة فصيحة ذكية تنتمي إلى طبقة إجتماعية متدنية ،وله قدرة عجيبة على التنكر تارة يظهر ناسكا واعظا وأخرى نديم كأس وثالثة فقيها. وهو أبو الفتح الأسكندري عند الهمذاني لا يتغير ويدعى أبا زيد السروجي عند الحريري ولها راو واحد لا يتغير أيضا من طبقة اجتماعية متوسطة يمهد لظهور البطل – غالبا – وهو عيسى بن هشام في مقامات الهمذاني والحارث بن همام في مقامات الحريري على شكل قصص ،تغيب فيها الحبكة والعقدة ،وهي بذلك ليست قصة بالمعنى الكامل رغم اشتمالها على الحوار والمضمون والتصوير لعناصر الشر والخير ،وغرضها الأساسي ليس القصة وإنما معالجة موضوعات نقدية شتى أدبية ومذهبية ،واجتماعية ،وفيها التعليم اللغوي والأسلوبي ،والوعظ والإرشاد والحكمة والأدب والألغاز، فهي جنس قصصي قديم يختلف عن المعروف حديثا [1] .

وريادة هذا الفن مازالت موضوع خلاف فهناك من يرى أن ابن دريد والجاحظ أسبق من الهمذاني ،وفريق يرى أن الهمذاني يكون قد استفاد من بعض كتابات هؤلاء ليخرج

1- د. جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج1 ، ص 585 .

هذا الفن على الشكل الذي لم يتغير إلى يومنا هذا ،وظلت مقامات الهمذاني الاثنتان وخمسون أنموذجا يحتذيه كتاب المقامات من بعده وأشهرهم أبو محمد القاسم الحريري الذي يعترف للهمذاني بالرّيادة ،ثم تبعه غيره أبرزهم الزمخشري، والسيوطي من المشارقة ،والسرقسطي الأندلسي من القدماء ،وناصف اليازجي الذي تقرب بمديحه من الأمير خلف بن أحمد في المقامة الحمدانية والخمرية ،وإبراهيم المويلحي من المحدثين .

ولها أهمية في مجال الأدب المقارن فلقد قلّدها بعض كتاب الفرس ،ويُعتقد أنها أسهمت في ظهور رواية المكدّين في اسبانيا في القرن السادس عشر الميلادي ومنها إلى أوروبا لتصبح مقدمة لظهور الرواية النثرية بمفهومها الحديث للتشابه بين أبطال ورواة المقامة وأبطال ورواة تلك الأعمال .

وللهمذاني أخبار عن الشعراء في مقامته "الغيلانية" و"البشرية" إذ يُزودنا بمعلومات ذات صلة بالتاريخ والأدب والنقد الأدبي في مقامته "الجاحظية" و"القرضية" و"الإبليسية" ويقدّم في المقامة "الرستانية" وهو السني المذهب حجاجا في المذاهب الدينية، مُسفّها عقائد المعتزلة رادا عليها بشدة وقسوة مستشهدا بالقرآن والسنة مقتبسا من الشعر القديم والأمثال فكانت مقاماته بمثابة مجلس أدب وأُنس ومتعة في بساطة موضوع وأناقة أسلوب مزودا إياها بكل ما يجعل منها :

1- طريقة للتدرب على الإنشاء وأساليب النثر والشعر .
2- رصيدا لثروة لغوية تمتلئ بالحكم والتجارب عن طريق الفكاهة .
3- وثيقة تاريخية تصوّر العصر ورجاله .
4- تعد نواة المسرحية العربية الفكاهية
5- تحفه أدبية بأسلوبها ومضمونها و مُلُحها،ودعواتها إلى الصّدق والشهامة ومكارم الأخلاق وقد وُفّق الهمذاني أيما توفيق في ذلك[1].

1- د.جرجي زيدان ،تاريخ آداب اللغة العربية ، ج 1 ص 585 .

المقامة البغدادية لبديع الزمان للهمذاني

التعريف بالكاتب :

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي بن سعيد الهمذاني الحافظ ،المشهور ببديع الزمان ،ولد بهمذان عام 358 هـ ونشأ فيها ،أخذ اللغة عن ابن فارس العالم اللغوي الشهير ،تنقل بين خراسان وجرجان ونيسابور ،وأقام بهراة بأفغانستان أواخر حياته .

كان سريع الخاطر قوي الحافظة ،تفوّق بفضل ذكائه على أبي بكر الخوارزمي في مناظرة فذاعت شهرته ،كثر ماله بفضل صهره الحسين بن محمد الخشنامي، توفي سنة 398 هـ[1].

من مؤلفاته :

1- رسائل مجموعة في كتاب يعرف برسائل بديع الزّمان .

2- ديوان شعـــــر

3- مقامات ، وهي أقدم كتاب وصل إلى العربية في هذا الفن مقتبسا نسقه من أستاذه ابن فارس، وقد شبهها بعضهم (بالدرام) في اللغات الأجنبية وتوجد ترجمة بديع الزمان في ابن خلكان ،ومعجم الأدباء ، ويتيمة الدهر[2].

وهذه المقامة تعتبر نموذجا لفن الكتابة المعروفة باسم "المقامات" وبطل مقامات بديع الزمان هو: "أبو الفتح الاسكندري" وراويته هو :عيسى بن هشام " ولكن بديع الزمان جعل في هذه المقامة الراوية عيسى بن هشام بطلا في القصة .

النص : " حدثنا عيسى بن هشام ،قال :اشتهيت الأزاذ ،وأنا ببغداذ ،وليس معي عَقْدٌ على نقد ،فخرجت انتهز محالّه حتى أحلّني الگرخَ ،فإذا أنا بسوادي يسوق بالجهد حماره ويطرّف بالعقد إزاره ،فقلت :ظفرنا والله بصيد ،وحيّاك الله أبا زيد ، من أين أقبلت ؟وأين نزلت؟ ومتى وافيت ؟وهلمّ إلى البيت ،فقال السّوادي: لست بأبي زيد ، ولكنّي أبو عُبيد

1- الحموي، (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي) معجم الأدباء ، (إرشاد الأريب)، في معرفة الأديب،ج1،ط1، تحقيق د.احسان عباس، دار العرب الاسلامي بيروت ،لبنان ،1993 ، ص 94.
2- د. جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ،ج1 ، ص 585 .

فقلت:نعم ،لعن الله الشيطان ،وأبعد النسيان ،أنسانيك طول العهد ،واتصال البعد ،فكيف حال أبيك؟ أشاب كعهدي ،أم شاب بعدي ؟ قال: قد نبت الربيع على دمنته ،وأرجو أن يُصيره الله إلى جنته ،فقلت : "إنا لله وإنا إليه راجعون" ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .ومددت يد البدار إلى الصدار أريد تمزيقه، فقبض السوادي على خصري بجمعه، وقال :نشدتك الله لا مزّقته ،فقلت: هلمّ إلى البيت نُصب غذاء ،أو إلى السوق نشتر شواءً والسوق أقربُ وطعامه أطيبُ، فاستفزّته حمة القرم ،وعطفته عاطفة اللقم، وطمع ،ولم يعلم أنه وقع .

ثم أتينا شواءً يتقاطر شواؤه عرقا، وتتسايل جوذاباته مرقا، فقلت أفرز لأبي زيد من هذا الشواء ،ثم زن له من تلك الحلواء، واختر له من تلك الأطباق، وانضد عليها أوراق الرقاق ورُش عليها من ماء السُماق ،ليأكله أبو زيد هنيا فانحنى الشواء بساطوره ،على زبدة تّنوره فجعلها كالكحل سحقا وكالطحن دقا، ثم جلس وجلستُ، وما نبس وما نبست حتى استوفيناه، وقلت لصاحب الحلوى :زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين ،فهو أجرى في الحلوق وأمضى في العروق ،وليكن ليلي العُمر، يومي النشر، رقيق القشر، كثيف الحشو لؤلؤي الدّهن، كوكبي اللون ،يذوب كالصّمغ ،ليأكله أبو زيد هنيئا، قال :فوزنه، ثم قعد وقعدت ، وجرّد وجرّدت ،حتى استوفيناه ثم قلت :يا أبا زيد ما أحوجنا إلى ماء يُشعشع بالثلج ليقمع هذه الصارّة ، ويفثأ هذه اللقم الحارة ،اجلس يا أبا زيد حتى آتيك بسقاء ،يأتيك بشربة ماء .

ثم خرجت وجلست بحيث أراه ولا يراني ،أنظر ما يصنع ،فلما أبطأت عليه قام السوادي إلى حماره ،فاعتلق الشوّاء بإزاره ،وقال : أين ثمن ما أكلتَ؟ فقال أبو زيد: أكلته ضيفًا ،فلكمه لكمةً ،وثنّى عليه بلطمة، ثم قال الشوّاء: هاك !ومتى دعوناك؟ زن يا أخا القحة عشرين ! فجعل السوادي يبكي ويحل عُقده بأسنانه ويقول:كم قلت لذلك الفُريد: أنا أبو عبيد وهو يقول أنت أبو زيد.

فأنشدتُ: أ ً عمل لرزقك كُل آلـة لا تقعدنّ بذلّ حـــالـــه

وانهض بكل عزيمة فالمرء يَعجزُ لا محاله *[1]

***المفردات** :الأزاذ : نوع من التمر،وهنا الطعام- حمة القرم:الحمة إبرة العقرب ،وهنا الشدة، والقرم :الميل والشهوة إلى أكل الحم خاصة – جوذاباته : جمع جوذابة ، كلمة فارسية معربة معناها رغيف يخبز ثم يوضع تحت اللحم يتلقى الدهن السائل – السماق: ماء السماق ،قيل إنه نقيع تمر وقيل أنه حب أحمر حامض – زبدة تنوره: أفضل ما يُشوى على موقده – الصارة :العطش – يُفثأ - يخفف من حدة الحرارة.

1-أبو الفضل محمد بن الحسين بن يحي، مقامات بدبع الزمان الهمداني، قدم لها وشرح غوامضها الإمام العلامة الشيخ محمد عبده، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1426 هـ / 2005 م ، م1، ط3 ص71-72 .

2- مقامة الحريري:

التعريف بالكاتب:

الكاتب هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري الحرامي البصري يعود نسبه إلى ربيعة بن نزار، كنيته أبو محمد، و لقبه الحريري نسبة إلى عمله أو بيعه إياه[1]

هو من أدباء البصرة ولد بالمشان سنة 446هـ- 1054م، و يروي ابن خلكان على لسان ابن الحريري أن أباه ألف المقامات لشرف الدين وزير الإمام المسترشد بالله، فأجاد ووفى وسبق غيره في هذا فكان لها وقع على طلاب الأدب حتى عند الإفرنج، اهتم بها العرب فترجموها و علقوا و نشروها منذ سنة 1822م، وطبعت في لندن و القاهرة وبيروت ومنها نسخ خطية في مكاتب أوروبا الكبرى، كالمتحف البريطاني وغيره.

رحل إلى البصرة واستقرّ في محلّة بني حرام و تأدّب بها على يد أبي إسحاق الشيرازي، لم يبلغ من كتب الأدب ما بلغته مقاماته من بُعد صيت وشهرة، تهافت على كتابتها الوراقون، وتسابق العلماء على قراءتها عليه، يذكر أنه وقع بخطّه في عدّة شهور من سنة (514هـ) على سبعمائة نسخة، كان به ذكاء مفرط، وحافظة عجيبة وسرعة بديهة وفطنة، وبلغ من شهرة المقامات أن وفد عليه من الأندلس فريق من علمائها لقراءة المقامات عليه، ثم رجعوا فتلقاها العلماء والأدباء، رواية وحفظا و مدارسة وشرحا.

من مؤلفاته: " درّة الغوّاص في أوهام الخواص" تبين أغلاط الكتاب واستعمالاتهم للألفاظ في غير معناها و" الرسالة السينية" التزم فيها السين في بداية كل كلمة.[2] ومجموعة رسائل ذكر بعضها عماد الدين الأصبهاني، كما أنه ترك ديوان شعر لم يصل منه إلا القليل[3]

1-بطرس البستاني، أدباء العرب في الأعصر العباسية ،ج2،ط1، ،دار نظير عبود، بيروت ،لبنان، ط 1989، ص 426.
2 –ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، د ت، ، ص 419.

3- أبو محمد القاسم الحريري ، المقامات، سلسلة أنيس، الجزائر(د.ط)، 1989م، ص 01

كان الحريري في البصرة محلّ تقدير أهل العلم، رفعت مقاماته الخمسون منزلته وذاع صيته في مشارق الأرض ومغاربها، حتى وافته المنية في 6 رجب 596هـ /11 سبتمبر 1112م[1]

ومن مقاماته: المقامة الاسكندرية، المقامة البصرية، المقامة البغدادية المقامة الحرامية، المقامة الحلبية، المقامة الحلوانية، المقامة الصعدية، المقامة الدمشقية ويروي الحرير أن مقاماته التي بدأها سنة 495هـ وانتهى منها عام 504هـ تدور حول إبتزاز المال، عن طريق الحيلة من خلال مغامرات بطلها أبو زيد السروجي، و راويها الحارث بن همام، وقد بدأها بمسجد بني حرام يسألهم أن يعينوه في فك ولد من أسر الروم قال الحريري: "فاجتمع عندي فُضلاء و أخبروني بما سمعوه و تعجّبوا منه فأنشأت المقامة الحرامية، ثم بنيت عليها سائر المقامات"

و أخباره في ابن خلكان، و طبقات الأدباء، و فوات الوفيات [2]

- **المقامة الفارقية:**

حكى الحارث بن همام، قال يمّمت ميّا فارقين مع رفقة مرافقين لا يُمارون في المناجات، ولا يدرون ما طعم المداجاة، فكنتُ بهم كمن لم يرم عن وجاره، ولا ظغن عن أليفه وجاره، فلمّا أنخنا بها مطايا التّسيار- و انتقلنا عن الأكوار إلى الأوكار، تواصيْنا بتذكار الصّحبة و تناهينا عن التقاطع في الغربة، واتخذنا نادِيا نعتمره طرفي النهار، و نتهادى فيه طرف الأخبار فبينما نحن به في بعض الأيام، وقد انتظمنا في سلك الإلتئام وقف علينا ذو مِقولٍ جريّ و جَرْسٍ جهوريّ، فحيّي تحيّة نقّاثٍ في العقد ، قنّاصٍ للأسد و النّقد ثم قال :

عندي ياقوم حديثٌ عجيب فيه اعتبار للّبيب الأريـــــــــب

رأيت في رّيْعان عمري أخا بأس له حدّ الحسام القضيب

1- الحريري، مقامات الحريري، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف ،بيروت سنة 1873، ص 02-86

2-د.جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، ج2،ص 39-40.

يقدم في المعرك إقدام من يوقن بالفتك ولا يَسْتَريـــــــــــــب

ثم إنه أعلن بالنّحيب و بكى بكاء المحبّ على الحبيب ، و لمّا رقأت دمعته وانفثأت لوعته، قال : « يا نجعة الرّوّاد وقدوة الأجواد، و الله ما نطقت ببهتان ولا أخبرتكم إلا عن عيان، ولو كان في عصاي سيْر و لِغيْمي مُطيْر، لا ستأثرت بما دعوتكم إليه، ولما وقفت موقف الدّال عليه، ولكن كيف الطيران بلا جناح؟ وهل على من لا يجد من جناح؟ قال الرّاوي: فطفق القومُ يأتمرون فيما يأمرون ، ويتخافتون في ما يأتون، فتوهم أنّهم يتمالؤون على صرفه بحرمان، أو مُطالبته ببُرهان، ففرط منه أن قال: يا يلامع القاع ويرامع البقاع، ما هذا الإرتياء الذي يأباه الحياء؟ حتّى كأنكم كُلّفتُم مشقّة، لا شُقّة، أو استوهبتهم بلدة لا بُردة، أو هُززتم لكسوة البيت لا لتكفين الميت، أفّ لمن لا تندى صفاته ولا ترشح حصاته ، فلما بصُرت الجماعة بذلاقته و مرارة مذاقته، رفأه كلّ منهم بنيله، واحتمل طله خوف سيله ، قال الحارث بن همام : وكان هذا السائل واقفا خلقي مُحْتجبا بظهري عن طرفي، فلما أرضاه القوم بسيْبهم،وحق عليّ التّأسي بهم، خلجتُ خاتمي من خنصري ولفتُ إليه بصري، فإذا هو شيخنا السرّوجيّ بلا قرية، فأيقنت أنها أكذوبة تكّذبها، وأحبولة نصبها، إلا أنني طويته على غرّه وصُنت شغاه عن فرّه فحصبته بالخاتم وقلتُ: أرصده لنفقة الماتم، فقال: واهًا لك ؟ فما أضرم شعلتك، و أكرم فعلتك، ثم انطلق يسعى قُدمًا، و يهرول هرولته قدما، فنزعت إلى عرفان ميته، وامتحان دعوى حميته، فقرعت ظنبوني، و ألهبت ألهوبي ، حتى أدركته على غلوةٍ واجتليته في خلوة فأخذت بجمُع أردانه و عُقْته عن سنن ميدانه، وقلت له، والله مالك مني ملجأ ولا منجى؟ أو تريني ميتك المسّجى،وكشف عن سرا ويله و أشار إلى غُرموله، فقلت له : قاتلك الله فما ألعبك بالتّهى و أحيلك على اللهّى ثم عدت إلى أصحابي عوْد الرّائد الذي لا يكذب أهله ولا يُبرقش قوله ، فأخبرتهم بالذي رأيت وما ربت ولا رأيت ، فقهْقهوا من كبْت كبت ولعنوا ذلك الميت[1]

1-ابو محمد القاسم، مقامات الحريري ،ط04، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 201، 202

3- منامـــات الوهـــراني

مقدّمـــــة :

حفل النّثر الجزائري القديم بفنون عديدة منها فن المنامات عند الوهراني وهي حكاية سردية غايتها الإصلاح بطريقة بناء الرؤيا ، وقد برع الوهراني في هذا العمل وجمع بينه وبين المقامات والرسائل فكان أحد مثقفي عصره .

التّعريف بالكاتب :

الوهراني هو محمد بن محرز بن محمد الوهراني ، الملقّب بركن الدين ، وقيل جمال الدين ، ولد بوهران الجزائرية ، ونشأ بها وحصّل أولى علومه بها برع في الأدب من أقران القاضي الفاضل والعماد الأصبهاني الكاتب، ولكنه عدل عن الجدّ وسلك السخرية والهزل في مناماته ورسائله فدلّت على خفة روحه وكمال ظرفه ، ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه ، ففيه أتى بكل حلاوة [1]

رحل إلى صقلية ، دخل دمشق أيام نور الدين محمود بن زنكي وزار بغداد ثم عاد إلى دمشق خطيبا بجامع داريا ، زار القاهرة أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ثم عاد إلى داريا وتوفي بها ودفن في تربة الشيخ أبي سليمان الدارني سنة 575هـ / 1179م.

وأخباره في وفيات الأعيان لابن خلّكان ، وفي مسالك الأبصار لفضل الله العمري، وفي الوافي بالوفيات للصفدي، وفي الكنز المدفون للسيوطي، وفي شذرات الذّهب لابن العماد الحنبلي ، ويأتي الوهراني تاليا للهمذاني والحريري.

ومنامات الوهراني ثلاثة ينتقل فيها بخياله إلى الآخرة تارة، وعالم الجنّ والشياطين تارة أخرى، ويحاول لقاء صلاح الدين الأيوبي في الدنيا لأنه كان حيّا وقتها، وأهم مناماته وأطولها "المنام الكبير" يصور فيه أنه بُعث إلى يوم الحشر والتقى هناك بالعلماء

1- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عبّاس، ص 385.

والفقهاء والشعراء والوزراء والمتصوفين، تحاور مع البعض ووصف آخرين، يحاكي فيه أبا العلاء المعري في "رسالة الغفران" .

ومنامات الوهراني منثور في أغلبها تتخلها أبيات شعرية من نظمه أو من نظم غيره، وهذه إحدى مناماته :

المنامة الإبليسية

خرجتُ يوم الجمعة إلى القرافة من درب الصّفا، فلمّا كنتُ بين تلك الأكوام لقيت هناك شيخا طويلا في زيّ الصّوفية عليه أثر السّفر فقلتُ:

الوهراني : من أين أقبلتَ، فقد اشمأزّت نفسي منك ؟

الشيـــخ : كنتُ عند بغيور ملك الصين، بلغني أنه قد مالت نفسه إلى دين الإسلام، فخرجتُ إليه من بلاد الزّنج بعد الظهر، فثنّيته عن رأيه، ورجعت أطلبُ مدينة قرطبة في هذه الليلة أتمم الفساد بين أولاد عبد المؤمن .

الوهراني : من أنتَ عافاك الله ؟

الشيـــخ :أَوَ ما عرفتني يا وهراني ؟

الوهراني : لا والله ما أعرفك ؟

الشيـــخ : عجيب إن معلّمك وشيخك إبليس، حدّثني ما هذا الذي يختلج صدرك من بني بثان هبكَ أنّني سلّمت لك ما وقع عليه الإجماع من شعره الرّكيك وكتابه ، فتقدر تقول إنّ أكمامه قصيرة ضيقه، وأنّ بُلغتَهُ قصيرة أو أن طعامه قليل الإبراز ؟؟؟ .

الوهراني: لا والله يا سيّدي .

الشّيـــخ : هذه الفضائل التي تقوم بها أمل بيته في سالف الأزمان، قد حازها فأيّ شيء بقي لك تذمّه .

ونختصر الحوار بوصيّة إبليس للوهراني: إن عثرتَ على الشيخ ابن الصّابوني فسلّم عليه عنّي وعرّفه عتبي عليه وقل له : ترضى لنفسك أن تكون مثل العنكبوت على قبر الشافعي ، وقعدت تنتظر من يقع فيها ؟ وأخدَع الناسُ بلطف سلامك وكلامك ، وغرّهم بسالوسك وناموسك وعلمهم بلطيف احتيالك كيف يكون التّصب المحال[1] ....

تعقيـــــب : هذا المنام فيه دلالة واضحة على الحوار الأزلي بين الإنسان ، والشيطان رمز الخطيئة، وهو ينم في الوقت نفسه عن فلسفة الوهراني، التي تشبه فلسفة أبي العلاء المعري، فالوهراني حوّل إبليس إلى ضحية أمام تبليس الإنسان رغم ما يملك من القدرات العجيبة الخارقة ، إلا أنه يمكن للإنسان أن يكون أكثر مكرًا ودهاء من إبليس نفسه، فإبليس يحاول إجراء حوار مع الإنسان ولا يجد من الرجال إلاّ الوهراني كما رأينا ليشاطره همومه وأكداره كما جاء في هذا الجزء من المنامة .

الأسلوب :

اختلف أسلوب الوهراني في هذا النص عن أساليب النصوص الأخرى رغم اعتماده الكبير على أهمية دور الراوي بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، فبدت شخصيته خيالية رمز بها الوهراني إلى نفسه أيضا، ونهضت لغة المنامة على العمل بالألفاظ أساسا، وعلى غرابة الألفاظ المعتمدة في السّرد، وعلى نمط أسلوبي شديد التنميق عالي الأناقة، بديع النسج، إلى حدّ إمكانية تشبيهها بالأصباغ التي يصنعها الرسامون، فجمالية الأسلوب وإيقاعها هما أهم خصائص هذا الجنس الأدبي العربي[2] .

وأسلوب الوهراني نثري مرسل حاكى فيه كتاب القرن الرابع الهجري وسجع المقامات، وابتعد فيه عن صنعة الهمذاني والقاضي الفاضل ، فكانت كتاباته عفوية تفيض حيوية .

1- الشيخ ركن الدين محمد بن محرز بن محمد الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ،ط1، تحقيق ابراهيم شعلان ومحمد نغش ، منشورات الجمل ، كولونيا، ألمانيا،1998 ، ص 65.

2- الشيخ ركن الدين محمد ، منامات الوهراني ، ص 01.

وأدّت به خفّة روحه وبراعته في الهزل إلى صبّ سخريته على كبار علماء دمشق وفقهائها وأطبائها وكتابها ، كالتاج الكندي، والمهذب بن النقاس ، والقاضي بن أبي عصرون، وغيرهم ، كما فضح المتصوفة والشيعة ، وكشف ما كان يجري في الأوساط الدينية من التكسب بالدين واختلاس الأموال ،وعرّى الكثير من المفاسد الاجتماعية والسياسية في زمانه بأسلوب ساخر. فهو لم يدع رذيلة إلا عرّى أصحابها بكل جرأة وصراحة .

ففي مشهد من مشاهد المنام الكبير، وفي موقف مرعب يوم القيامة ، يلتقي بصاحبه المحدّث الحافظ جمال الدين العليمي، وتجري بينهما ملاحاة، وإذ بـ (مالك) خازن النار يقبض عليهما، ويسحبهما إلى النار ، بتهمة الزنا واللواط والقوادة، فيتوسّل إليه العليمي بإطلاق سراحهما، لأن الوهراني من أهل القرآن وهو من أهل الحديث ، إلا أن مالك يذكرهما بما اقترفاه في الدنيا من الآثام .

وكذلك فعل برجال الدين ، وبالأطباء ، وبالفقهاء وبالقضاة وبغيرهم قاصدا التقويم وإصلاح المجتمعات بإصلاح الأفراد[1].

1- مجلة جامعة تكريت للعلوم ، المجلد 19، العدد 7 تموز 2012 ، ص 327 وما بعدها .

أ- الرسائل الديوانية في المشرق :

أدّى تعقّد الحياة العبّاسية إلى تعدّد الرّسائل بتعدّد الدّواوين ،إذ صار للخراج وللنفقات دواوين وللجيش والحرب ،وتفرّع عن كل ديوان ديوان ينظر في ضبطه هذا في عاصمة الخلافة ومثله في الولايات ،فهناك دواوين للرسائل ولأولياء العهد والوزراء وكبار القادة أو على الأقل هناك كاتب يكتب في تدبير الأموال والنفقات والضياع ،كما كان لنساء الخلفاء وللقضاة والعلماء كتاب أيضا .

ولهذا نشطت الكتابة الديوانية لأنها تؤهل المتفوقين إلى مراتب عالية وتحقّق أرباحا طائلة.فهذا الحسن بن البحباح يصير واليا على مصر في عهد الهادي والأمين ،وألمّ الكتاب بالمعارف ،كعلوم اللسان العربي وعلم الفقه ،وعلم الحساب ، والكيمياء والطب والنجوم ، وانكبوا على الفلسفة والمادة الفارسية السياسية والأخلاقية المترجمة كالآداب والرسائل، والعهود، والوصايا ،فضلا عن حفظهم القرآن ،ومجاراة أسلوبه ،ونظم الشعر والاستشهاد به في الرسائل مع تجويد الخط ، ولمحمد بن الليث رسالة بعثها إلى جعفر بن يحي تعلم طريقة استعمال القلم في الخط ،وجعلوا للكتّاب شروطا توضحها رسالة بعثها الحسن بن سهل إلى محمد بن سلمة قاضي بغداد لاختيار كاتب يتولى بعض أموره.

وتدور موضوعات الرسائل حول :

- تصريف أعمال الدولة وتعيين الولاة ،وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهد، وتسجيل الفتوحات ،ومواسم الحج والأعياد ،وأخبار الولايات وأحوالها في المطر والجدب ووصايا الوزراء في تدبير شؤون الحكم .

- بعض الأغراض كالتهنئة والتعزية والشكر[1].

ومن الكتاب النابهين حسب عهود الخلفاء :

1- عمارة بن حمزة :كتب للسّفاح والمنصور ،وتولّى على كور دجلة والأهواز وفارس، سنة 156هـ ،ثم ولاّه المهدي خراج البصرة ،توفي سنة 199 هـ .

1- د. شوقي ضيف ،العصر العباسي الأول ، ص 465 وما بعدها .

1- **مسعدة بن سعد بن صول** :من كتّاب المنصور ،كان أحد ملوك جرجان ،كتب لخالد ابن برمك وزير المنصور ،ثم تقلّد رئاسة ديوان الرّسائل .

3- جبل بن يزيد : كاتب عمارة بن حمزة ،كان مترجما ،ومن معدودي البلغاء .

4- أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله : كان وزيرا في عهد المهدي ،مشرفا على الدواوين ،ثم اقتصر على ديوان الرسائل سنة 163هـ كان غزير العلم ،بارع القول، ومن كتابه إسماعيل بن صبيح .

5- يحي البرمكي : من كتّاب عصر الرشيد جمع بين ثقافة الفرس والعرب ،كان سيوسا حصيفا ،دقيق الحس ،مهذب الذوق، رقيق الشعور ،جعل مجلسه ندوة علمية أدبية

6- جعفر بن يحي البرمكي :كان بليغا بيّنا فصيحا ،تضرب ببلاغته الأمثال ،تعلّم العلم والفقه ،فكان نادرة عصره ،مكانته عند الرشيد لم ينلها أحد قبله [1].

ومن رسائل عمارة الذي ضُرب المثل بتيهه الشديد حتى قيل "أتيه من عمارة" وقد اشتهر بتدبيجه لأول رسالة من رسائل الخميس في عهد كل خليفة عباسي موضوعها تأييد الدعوة العباسية وتأييد الخليفة الحاضر ، كما اشتهر برسالة عرفت باسم "الماهنية" وهي من الكتب المُجمع على جودتها كما يرى ابن النديم: "كليلة ودمنة " ورسالة عمارة بن حمزة الماهانية ،واليتيمة لابن المقفع ،ورسالة الخميس لاحمد بن يوسف ،ويبدو أنها كتبت لعامل كي يستشير عيسى بن ماهان في كل ما يأخذ من الأمر أو يدع وفيها يقول له على لسان الخليفة[2].

'أمير المؤمنين لا ينكر قرب الطاعة من المعصية قُرب بعض الأمور من بعض، لسرعة تقلّب القلوب واختلاف الحالات عند مَيل الهوى، ولا يُنكر جَري المقادير بغيب ذلك عن العباد واستئثار الله بعلم ما لم يأتهم إلا بغتة ،بل قد علم أمير المؤمنين أن أقواما في قلوبهم ضغائن ، دونها الغدر ،يُظهر أسرارهم ويخرج أضغناهم ، ثم يبلغ بغضبه

1- الحموي ،معجم الأدباء ج15 ،ص 242 .

2- انظر الرسالة بأكملها في جمهرة رسائل العرب ، لأحمد زكي صفوت، ج3 ،ص 127 .

منهم ما لم يكن في ذلك عنده عزيزا، ولم يكن بهم امتناع غير أنه قد أنكر أن تعجل إلى ابن ماهان وإن كان محلاّ بارزا- بأمر دون مؤامرته (مشاورته) ويكره لك العجلة فإنها موكل بها النّدم وإنه كان يقال : أصاب متأمل أوكاد، وقالت العرب : فإما تَرَين أمرا رشدا فتبيّن ثم ارعو أو أقدم وأحكم . ولحقّ ما أمر الله عز وجل به من التّبيّن وما حثّر أن يصاب قوم بجهالة وما خوّف على ذلك من الندامة ،فليس يبرح المرء بخير ما فرغ لقول الله عز وجل واتعظ واستيقظ" .

يظهر من خلال الرسالة حرص عمارة على التّمثّل بكلام العرب ، والاقتباس من القرآن الكريم لفظا ومعنى إذ ختم رسالته بقوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين[1]"[2]

ب- الوصايا والعهود :وهي نثر فنّي اهتم به حكماء العرب في الجاهلية ،يستخلص من التّجارب يتميّز بصدق عاطفي كبير ،وبُعد نظر دعا إليه حرص الآباء على نقل تجاربهم إلى فلذات أكبادهم ،والوصية توجيه تربوي يُعلّم فيه الكبير الصغيرَ كيفية التحلي بمكارم الأخلاق ، ومن مميزاتها التأني في الأفكار العميقة المرتبة ،والحكمة الرزينة ، والواقعية في النّظر إلى الحياة ،وقصر الجمل ،وعدم الترابط ، تجمع فنيا بين اللغة المرسلة والأسلوب المسجع ،والاعتماد على الإنشاء من أمر ونهي ونداء .

ومن أشهر القادة والولاة في الكتابة البليغة عهد المأمون طاهر بن الحسين وله وصية طويلة أرسلها إلى ابنه عبد الله حين ولاه المأمون الرّقّة سنة 207 هـ ،تعدّ دستور الحكم القويم والحاكم الرّشيد في دينه وخلقه وسيرته مع الحاشية والخاصّة والجند والرعيّة[3].

جـ - التّوقيعات : وهي عبارة مركزة بليغة ،جرت العادة عند ملوك الفرس ووزرائهم أن يوقّعوها على ما يردُ عليهم من رسائل تظلّم الأفراد في الرّعية ،وقلّدهم في ذلك خلفاء بني العباس ووزراؤهم ،فانتشرت بين الناس ،ويكتبها الكتّاب وتحفظ ،وسُميت هذه الشكاوى بالقصص لأنها تروي قصّة الشاكي ،وسُمّيت بالرّقاع تشبيها لها برقاع الثياب وتوجد في كتب الأدب توقيعات عديدة عرفت عن كل خليفة عباسي وكل وزير

1- سورة : الحجرات ، الآية 6 .
2- د.شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، ص 469 .
3- الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 7 ، ص 160 وما بعدها.

ذي قيمة[1] وهي على أربعة أضرب : جملة – عبارة – آية قرآنية – بيت من الشعر أو مثل من الأمثال .

ومما أثر عن السّفّاح في رسالة جماعة من بطانته يشكون توقّف أرزاقهم : "من صبر في الشّدة شارك في النّعمة " .

ومن توقيعات أبي جعفر المنصور على رسالة تظلم لأهل الكوفة من عاملهم : "كما تكونون يُؤمّر عليكم " .

وتوقيع المهدي لشاعر : "أسرفت في مديحك فقصرنا في حبائك "

ووقّع الرّشيد على رسالة لوالي خراسان قائلا :" داو جُرحك لا يّتسع"

ووقّع المأمون على قصّة متظلّم: "ليس بين الحقّ والباطل قرابة "[2]

وقد يكون الوزير جعفر بن يحي البرمكي من البارعين في التّوقيعات "وكان إذا وقعّ نُسخت توقيعاته ، وتُدُورسَت بلاغته "،ومن توقيعاته على رسالة محبوس متظلّم من حبسه: " العدوان أوبقه ،والتّوبة تُطلقه" .

ومن الذين اشتهروا بتوقيعاتهم البليغة المحكمة الفضل بن سهل (ذو الرياستين) ومن ذلك توقيعه على رسالة مظلوم : "كفى بالله للمظلوم ناصرا" [3].

ب- الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس :

يمكن أن نُقسّم النّثر في هذا العصر كغيره من العصور إلى ثلاثة أنواع رئيسية:

1- الرسائل الديوانية : التي كانت تستعمل في مراسلات الدولة وأجهزة القضاة والجيش وغيرها من الأمور الإدارية ،وأفضل من يلمع في هذا النوع من الكّتاب هو

1- د.شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، ص 489
2- ابن عبد ربه ،العقد الفريد ، ج 4 ، ص 211 وما بعدها .

3- ابن خلدون ، المقدمة،ج2، تحقيق ،د.علي عبد الواحد وافي، الدار التونسية للنشر و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 ، ص 173 .

علي ابن أبي الرّجّال الذي كان رئيسا لقلم المراسلات في دولة المعز بن باديس ، ومثله محمد ابن عطية بن حيّان الكاتب .

إلا أن هذا النوع من النثر لم يصلنا منه شيء كثير ،لعدم عناية مؤرخي الأدب به رغم أهميته خاصة في العصر الصنهاجي ،وبعده . واستمر معتمدا في صقلية وجنوب إيطاليا حتّى بعد زوال الحكم العربي من هذه الدّيار ،إذ بقيت اللغة العربية هي اللغة الإدارية في صقليّة وجنوب إيطاليا .

2- **النّثر العلمي** : ومجاله التأليف في القصّة وفنون اللّغة والطّب والتّاريخ والجغرافيا... ومن أبرز أعلامه ابن الجزار الطبيب ، وابن أبي زيد الفقيه ، وإبراهيم الرقيق في التاريخ وأبو العرب التميمي المؤرخ النسابة .

3- **النثر الأدبي** : الذي سنفرد له صفحات في الرسائل الأدبية والإخوانية [1].

1- د. عبد الله شريط ، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1983م، ص 142

أ- الرّسائل السّياسية في المشرق :

مقدمة: تعد الرسائل من وسائل التبليغ وهي نوعان، ديوانية وهي تلك التي تصدر عن دواوين الدولة وإدارتها، وإخوانية، وهي المتبادلة بين الأصدقاء والإخوان .

والرسائل التي عنى بها النقاد وكانت محل دراسة ومتابعة هي تلك الرسائل الفنية التي أظهر فيها أصحابها تأنقا وعناية فنية سواء أكانت عامة أو خاصّة، وتعجّ كتب التاريخ والأدب من مثل الطبري، والبيان والتبيين والكامل، برسائل سياسية قد عرفت عن الجاهليين وعن الرسول صلى الله عليه وسلم والأمويين، كتبتها فرق الخوارج والشيعة، والزبيريين، ومن قاموا بالثورة على الأمويين أمثال ابن الأشعث، فضلا عن مساهمات الخلفاء وولاتهم وقاداتهم في العصرين الأموي والعباسي

والعرب عرفوا الكتابة منذ الجاهلية واستخدموها لأغراض سياسية وتجارية. ومن كتابها وقتها لقيط بن يعمر الإيادي، وعدي بن يزيد العبّادي.

ودعت في صدر الإسلام حاجات جديدة إلى الاهتمام بالكتابة وقد أشاد بها القرآن في سورة العلق: "اقرأ باسم ربّك الذي خلق..."[1] وأيدته السنة الشريفة إذ جعل لأسرى قريش خلاصة الواحد من أسره هو تعليم عشرة من أبناء المدينة، واستعملت الكتابة في المعاملات والعهود أيام الرسول (ص) وكل الخلفاء الراشدين، وعند نزول الرسول (ص) بالمدينة وكان يسكنها اليهود كتب رسالة للمآخاة بين المهاجرين والأنصار نصت على ما يلي:

1- أن أهل يثرب أمّة واحدة. (دعوة إلى الوحدة) .

2- وجعل التعاون ضرورة بين الجميع .

1- سورة العلق ، الآية : 01.

3- دعا إلى تمثّل مبادئ الإسلام كلها من حماية الجار ونصرة المظلوم وغيرها .

4- وأن السلطان الإلهي فوق الجميع .

5- كما وضع العلاقات بين العشائر.

وتعد معاهدة الحديبية بين الرسول (ص) وقريش من الرسائل السياسية الخالصة نصت على: 1- وضع الحرب لمدة عشر سنين .

2- إباحة الدخول في عقد محمد وعقد قريش .

ناهيك عمّا أرسله الرسول (ص) من رسائل إلى كل من النجاشي ملك الحبشة، وهرقل ملك الروم ، والمقوقس.

واستعمل أبو بكر الرسائل في حروب الردة ودعا الناس إلى الاعتصام بدين الله ، وبينه وبين الأمراء في البلدان المفتوحة، وكان آخر ما كتبه عهده لعمر بن الخطاب وجاء فيه: "إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب، فإن برّ وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه، وإن جار وبدّل فلا علم لي بالغيب، والخير أردتُ، ولكلّ امرئ ما اكتسبه وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون"[1] .

واقتفى عمر آثار أبي بكر في اعتماد الكتابة مستلهما في عهوده ووصاياه لولاته في سياسة الناس ومعاملتهم صنيع الرسول (ص) جاء في رسالته لأبي موسى الأشعري واليه على البصرة ما يجب أن يكون عليه القاضي أو الحاكم من الرفق بالرعية، ومعاملتهم على قدم المساواة حتى صارت الرسائل جزءا مهما في أعمال الدولة، فارتقت رقيا كبيرا ومست كل مجالات السياسة وأعطيت للمحاربين المسلمين والشعوب المفتوحة كل الحقوق.ولعمر القدح المُعلّى في تطوير النثر .

وأدّى تشاجر الخوارج إلى تفرقهم أربع فرق هي: الأزارقة والنجدية، والصفرية، والإباضية، ومضى الأزارقة بقيادة نافع بن الأزرق يحرّمون القعود عن الخروج

1- المبرد، الكامل، ص 573.

ويبيحون دماء المسلمين وقتل الأطفال خلافا لغيرهم، ويورد المبرد في تصوير هذا الخلاف رسالتين[1] متبادلتين بين نجدة بن عامر الحنفي زعيم النجدات، ونافع بن الأزرق، فنجدة يُراجعه في رسالته ونافع يحتج لها، وتبادل الأزارقة الرسائل مع قادة مصعب بن الزبير وقادوا حربا عنيفة ضدهم، حتى إذا دخلت العراق في حكم عبد الملك وجّه إليهم ولاة العراق الجيوش، وخاصة الحجاج وكان زعيمهم لعهده قطري بن الفجاءة، فيراسله الحجاج مهدّدا متوعّدا ، ويردّ عليه قطري باللهجة نفسها[2]. وكثرت الرسائل بين عبد الملك والحجاج لكثرة الفتن.

وبعد تولية الوليد بن عبد الملك الخلافة أمر بتجويد الرسائل، ولما جاء عبد الحميد الكاتب نمّقها حتى عدّت طريقته مدرسة ، ثم ظهر ابن المقفع.

وكثرت رسائل الشيعة خاصة في استدعاء أهل الكوفة للحسين، والثورة على بني أمية لاغتصاب الخلافة وظلم الرعية، وأكثر الخلفاء من الكتابات السياسية في العهود إلى من يتولى الخلافة بعدهم سنة وضعها أبو بكر وعمر واتبعها الخلفاء الأمويون، حتى بينهم وبين ولاتهم في كل أمر وإن صغر شأنه، حتى صارت الرسائل السياسية كالمطر .

ومن كتابات الحجاج إلى سليمان بن عبد الملك ، وهو ما يزال واليا للعهد ما يلي: "إنما أنت نقطة من مداد، فإن رأيت فيَّ ما رآى أبوكَ وأخوك * كنتُ لك كما كنتُ لهما، وإلا فأنا الحجاج وأنتَ النقطةُ ، فإن شئتُ محوتُك وإن شئتُ أثبّتكَ" [3].

يبدو ولوع الحجاج بالتزيين في الصور الدقيقة والألفاظ الغريبة في الوقت الذي كان فيه غيره يحتال لكلامه وينمّقه بصور مختلفة[4].

1- المصدر نفسه، ص 611 وما بعدها.
2- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص 310.
* الوليد بن عبد الملك .

3- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 397.

4- د.شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص 456.

وظلت الرسائل بداية عصر بني العباس على الطريقة التي سلكتها أواخر عصر بني أمية من العناية والإتقان، وجعل عباراتها جزلة بليغة متناسقة المعاني والأسلوب. ثم أخذت الصناعة اللفظية تغلب عليها بالتدريج ، لتغلب الأعاجم من الديلم والبويهيين[1] والسلجوقيين والترك على سلطان الخلفاء في الشرق، وتغلب الأمازيغ على شمال إفريقيا والأندلس في المغرب.

ومن علامات تطور الرسائل في العصر العباسي ما يلي :

1- حسن ترتيب الأفكار ودقة معانيها .

2- التأرجح بين الإطناب والإيجاز حسب مقتضى الحال إلى حدّ بلوغ الإشارة ومن ذلك التوقيعات كتوقيع المأمون لأحد الولاة : "قد كثر شاكوك ، وقلّ شاكروك، فإما اعتدلت وإما اعتزلت " .

3- ذيوع السّجع ، والاهتمام بالبديع ، وتضمين الأحاديث النبوية.

4- زيادة أنواع البدء والختام في الرسائل .

وأصاب فن التّوسّل جمود عصر الأيوبيين، وعصر المماليك في المشرق، وعصر دُول بني زيان وبني مرين وبني حفص في المغرب إلى غاية انتقال الخلافة إلى العثمانيين فصارت لغة الدواوين التركية ، وازدادت الرسائل الإخوانية سوءا لاعتمادها العامية .

واستعادت العربية مجدها كبقية الفنون في القرن التاسع عشر الميلادي واسترجعت الرسالة قوتها، فظهر أدباء كثيرون أمثال عباس محمود العقّاد، ومصطفى صادق الرافعي، وطه حسين، أحمد أمين، ومي زيادة، وابن باديس، والإبراهيمي، وغيرهم كثير[2] .

1- البويهيون: أسرة فارسية حكمت من سنة 932- 1055م، استولت على بغداد سنة 945م، فغدا الخليفة ألعوبة بين أيديهم إلى أن غلبهم طغرل بك السلطان السلجوقي عام 1055م، والديلم : قوم من شمال بلاد قزوين .

2-د.عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي،ج1، ط3،دار العلم للملايين، ، بيروت، لبنان، 1973، ص213

ب- الرسائل السياسية في الأندلس والمغرب:

الرسائل السياسية هي من فنون النثر الجميلة كان ظهورها أوائل القرن الثاني إلى الثالث والرابع الهجرية أظهر فيها أصحابها مقدرة، فائقة و أساليب رائعة واستعمل بعض النقاد الرسائل الديوانية كاسم للرسائل السياسية أيضا، واستعمل آخرون مصطلح الرسائل السلطانية أو الرسمية لأنها تصدر عن الخليفة أو الوالي،لتوجه إلى الأمراء و الحكام ورجال السياسة وولاة الأقاليم وقادة الجيوش أو إلى المتمردين عن السلطة ، و إن كان كتابها من كبار الأدباء فإن الخيال و الإبداع الفني فيها محدودان، و من رجالها ابن زيدون ، وابن برد الأصغر، و لسان الدين بن الخطيب .

وكان نشاطها في الأندلس و المغرب لا يقلّ عن نشاطها عهد الخلافة و الإمامة ونظم الدولة و تصريفها في الداخل و الخارج و أدّى اختلاف دواعيها و ظروفها عن أختها في المشرق إلى تميز كل منهما بخصوصية فكانت سياسية و إدارية و تشريعية. تحمل نصائح للسياسيين و العلماء، و محاربة مظاهر الفساد و تقديم طرائق إصلاحها فلقد استعملت الرسائل السياسية في إطفاء ثورات الخوارج الذين حاولوا مواصلة نشاطهم السياسي خاصة فرقة الإباضية و الصّفرية حين التجائهم إلى المغرب إثر انهيار الخلافة الأموية فنقلت الرسائل أخبارهم إلى الوالي بالقيروان و المتتبع للحوادث التاريخية والسياسية يقف على حقيقة أن الهدف من هذه الرسائل مشرقا يتطابق مع نظيره مغربا شكلا ومضمونا وهو استتباب الأمن و الاستقرار بإصلاح حال الحكام و الحكم.

ومن نماذجها رسالة لأبي قاسم بن الجد كتبها عن أمير المسلمين في مراكش علي ابن يوسف بن تاشفين إلى أهل غرناطة مهدّدا و داعيا إيّاهم إلى الطّاعة : ‹‹كتابنا عصمكم الله بتقواه، وسركم بما يرضاه، و جنبكم ما يسخطه، وينعاه من حضرة مراكش حرسها الله يوم الجمعة التاسع من شهر الصّوم، المعظم سنة سبع و خمسمئة وقد اتّصل بنا أنكم من مطالبة فلان على أولكم ، وفي عنفوان عملكم، وأنه لا يعلم تشغيبا و تأليبا

من قبلكم، و إلى متى تلحون في الطلب و تجدون في القلب و تقرعون النبع بالغرب... »[1]

ويلاحظ في الرسائل، قصر الجمل، وكثرة الفواصل،مع تأكيد المعنى بالعطف والتكرار مع مراعاة الرصانة و الجديّة، و الاهتمام بالسّجع إلى حدّ التكلف، وغلبة الصنعة والتأثر بكتابات كبار أدباء المشرق كالقاضي الفاضل و الهمذاني.

« لقد جاءت بعض الكتابات بالنصح للمؤيد (هشام) بمصالحة البربر أو التفاوض مع أمير فشتالة فكتب هشام إلى زواي بن زيري يحثه على عقد الصلح، ويَعِدُه بما شاء من مال أو ولاية ، فردّ زاوي بأنه لا يستطيع مخالفة أصحابه، و أنّه مع ذلك لا يدّخر وسعا في العمل لتأليف كلمة المسلمين و حقن الدّماء»[2]

وبذلت محاولة مماثلة من سكان قرطبة على " لسان هشام إلى سليمان بن الحكم يرجوه العمل على إطفاء نار الفتنة و تسليم الأمور إليه على أن يغدو سليمان ولي عهده و القائم بأعباء الخلافة، فلم يحفل سليمان بتلك الرسالة ، بل واعتبر نفسه الخليفة مصرّحا بعدم اعترافه لهشام بأية صفة [3]

وراسل عبد الرحمن الفهري بن حبيب المنصورَ ، وممّا يمكن ملاحظته أنه كان للأندلس واقع سياسي شديد التقلب ، كما يلاحظ خلو الرسائل السياسية من ظاهرة التنويع بين الشعر و النثر [4]

ومن أبرز شخصيات التراسل السياسي:

- زاوي بن زيري، أول حكام طائفة غرناطة في عهد ملوك الطوائف في القرن 5 هـ
- سليمان بن الحكم، الحاكم الثاني عشر، و الخليفة الخامس للدولة الأموية في الأندلس.
- هشام المؤيد: عاشر الحكام الأمويين للأندلس وثالث الخلفاء في قرطبة [5]

1- المرجع السابق ،ص 111
2-محمد عبد الله عنان ،دولة الإسلام في الأندلس ، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م، ص 291
3-المرجع نفسه،ص 291
4-د.أيمن محمد ميدان، الحوار الأدبي بين المشرق و الأندلس ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية، د.ط، 2003، ص 25
5-أ.د مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب الأندلسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، ش.م.م.القاهرة، مصر.ط3، 2008م، ص176

أ- الرسائل الأدبية في المشرق :

نشطت الرّسائل الاخوانية في العصر العبّاسي ،وأصبحت تؤدّى بالنّثر في حين كانت تؤدّى شعرا في العصر الأموي ،وهي تلك التي تصور عواطف الأفراد ومشاعرهم من (رغبة ،رهبة ،مديح ،هجاء ،عتاب ،اعتذار ،استعطاف ،تهنئة، استمناح رثاء ،تعزية تهادي ...) ويعود سبب اعتماد النثر لظهور طبقة ممتازة من الكتاب ولمرونة النثر وقدرته على التعبير عن المعاني المختلفة ،إلى درجة انقلب فيها حتى الشعراء إلى التعبير عن مشاعرهم بالنثر على النحو الذي نجده عند أبي العتاهية والعتّابي، وحملت كتب الأدب رسائل إخوانية كثيرة تأنق فيها أصحابها ،فأثبتوا مهارة فنية عالية ،وعلى رأس هؤلاء جميعا ابن المقفع، ومحمد بن زياد الحارثي ،وقد استفاد الكتاب من كتاب الأدب الكبير في موضوع الإخاء والمودّة الحقّة ،ومن المشاعر التي كثروا فيها :

1-التّعزية :يتحدّثون فيها عن ثواب المنكوب في بعض أقاربه ،وما ينتظره من ثواب على حسن صبره ،مع دعوته إلى التسليم لأمر الله والرضا بحكمه ،وقد يذمّون الدّنيا لأنها دائما تكدّر الصفاء وتنغّص المسرّة .

2-العتاب :وفيه يعنّفون تعنيف المتحضّر الذي لا تخدش الكرامة ،وفي هذا ما يدل بوضوح على رهافة الشعور ،وقد تفننوا من حيث التعبير الدقيق المنمق على نحو ما جاء في رسالة يوسف بن صبيح كتبها إلى محمد بن زياد الحارثي .

3- الاعتذار والاستعطاف: ففيه مالوا إلى معان دقيقة طريفة وصور عجيبة بليغة رائعة تُبهر القارئ وتجعله ينظر فيها ويُكرّر كرسالة محمد بن الليث في اعتذاره لشخص ظن به ظنونا خاطئة دون تبيّن ولا رويّة .

وفعلوا في الهجاء ما فعلوه فيما سبق ،سالكين أحيانا أبياتا من نظمهم أو نظم غيرهم وقد ينثرون قبلها معانيها ،ورسائلهم هذه لاذعة مرنة راقية فيها لذة وقدرة عقلية على

استنباط المعاني ودقائق الأحاسيس والصّور والألفاظ المنتقاة والصيغ المختارة والعبارة الجميلة التقابل ،حتى ليحاول بعض الكتاب أن يسجع في كلامه ليصوغه صياغة موسيقية تامة[1].

وممّا أكثر الكتاب فيه الدّعوة إلى الزّيارة لقضاء بعض الوقت في اللّهو وكذلك فعلوا مع الهدايا التي كانوا يُرسلون بها في كل مناسبة ،وأكثرها طيب وتحفٌ ثمينة ، وربّما أهدوا السيوف والخيل، وأكثروا من التهاني في كل مناسبة ،فهم يهنّئون الخلفاء حين جلوسهم على أريكة الخلافة ويهنّئون الوزراء حين استيلامهم مقاليد الوزارة ويهنئون بالزواج وعقد القران ،ويهنّئون بإنجاب الأولاد ،وبحكم الولايات ،وبنعمة الحج ،وبالظفر بالأعداء .

ومن هذا يتجلّى أنّ فنون الشعر طرقها فنّ النّثر إمّا بإيجاز أو بإطناب مع البراعة والتّفنن في الأداء ،وقد وصف الكتّاب أحيانا الطبيعة والأمطار ،وتحوّلوا ببعض رسائلهم إلى ما يشبه الرسائل الأدبية الخالصة ،وهي تتناول سلوك النفس البشرية وخصالها وتصور أهواءها وميولاتها ،وتوضح طريقها إلى الخير حفاظا عليها من السقوط في مهاوي الشر وكان يُراد بها إرشاد الناس في حياتهم إلى الخير بما تقدم لهم من سائر الأمثال وتُفصل من الحكم .

وبذلك نمت الرسائل الإخوانية حتى غدت رسائل أدبية بديعة قصدوا بها التّفكه والتّرويح عن النفس ،ومن أشهر كتاب الرسائل الإخوانية :ابن المقفع، ويوسف بن صُبيح، وإبراهيم بن سيابة الشاعر ، والعتّابي ، وسهل بن هارون، وأحمد بن يوسف، وعمرو بن مسعدة ،وابن الزيات، وأبو دلف العجلي[2] .

1-د.شوقي ضيف ،العصر العباسي الأول ، ص 491 وما بعدها .
2- المرجع السابق ،ص 500 وما بعدها.

ومن البارعين في الرسائل الإخوانية شعرا ونثرا العتّابي ،يعمد فيهما إلى الإيجاز وأن يَرُوع السامع بمعانيه وأساليبه ، كما توضّحه رسالة كتبها إلى صديق انتجعه في أيام شحيحة[1] . يقول :

" أما بعد أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك إلى رضوانه والجنة ،فإنك كنت عندنا روضة من رياض الكرم تبتهج النفوس بها ،وتستريح القلوب إليها ،وكنا نُعفيها من النجعة[2] استتماما لزَهرتها وشفقة على خُضرتها ،وادّخارا لثمرتها ،حتى أصابتنا سنَّة كانت عندي قطعة من سيني يوسف ،اشتدّ علينا كَلَبُها[3] وغابت قطْتها[4]، وكذبتنا غيومُها وأخلفتنا بروقها ،وفقدنا صالح الإخوان فيها ،فانتجعتك[5] وأنا بانتجاعي إياك شديد الشفقة عليك ،مع علمي بأنك موضع الرائد [6]، وإنك تغطي عين الحاسد، والله يعلم أني ما أعدُّك إلا في حومة [7] الأهل ،واعلم أن الكريم إذا استحيَ من إعطاء القليل ولم يُمكنه الكثير لم يُعرف جوده ولم تظهر همّته، وأنا أقول في ذلك:

إذا تكرّهتَ من بذل القليل ولم تقدر على سَعَة لم يظهر الجودُ

بُثّ النّوالَ ولا تمنعك قلّتـــــهُ فكلّ ما سدّ فقرا فهو محمـــودُ "

قيل لفرط تأثر صديقه بعد قراءتها ،شاطره ما له حتى أعطاه إحدى نعليه ونصف قيمة خاتمه، وعلى هذا النحو يأتي في أشعاره بالمعاني الطريفة فيما لا يتجاوز البيتين شعرا وفيما لا يتجاوز السطرين أو ثلاثة – أحيانا – إذا كانت نثرا ، وهي في كلتا الحالتين تحمل من المعاني والصور النادرة ما يجعلها آية في البلاغة العباسية ،ومن ذلك ما كتب به إلى بعض أصحاب السلطان [8]:

1- القالي (أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم)، كتاب الأمالي،ط2، دار الجيل و دار الافاق الجديدة، بيروت، 1407هـ/1987م ص 137 .

2- النجعة: الاستمناح، وأصلها طلب الكلأ.

3- كلبها : سوءها وقحطها

4- قطتها :كناية عن الجدب ،فالقطة لا تجد ما تأكل

5- فانتجعتك :طلبتُ نائلك ومعروفك .

6- الرائد: الذي يتقدم القوم في طلب العشب

7- حومة : موضع .

8- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج1 ص 25 .

"أمّا بعد فإن سحائب وعدك قد أبرقت ،فليكن وَبلُها[1] سالما من عطل المَطْل[2]والسلام"

طرافة في عبارة دقيقة موجزة تبهر القارئ وتجعله ينظر ويعيد النظر فيها .

ب- الرسائل الأدبية (الإخوانية)في الأندلس والمغرب :

لقد كان النّثر في هذه الدّيار مطبوعا بطابع الصّنعة ،ولم يسلم من هذه الميزة إلاّ ابن رشيق ،في الوقت الذي انجرف فيه غيره نحو الصنعة ورأوها أنموذجا راقيا في الكتابة والبلاغة ،وكأني بهم اتخذوا أصحاب المقامات في المشرق مثالا في النثر الأدبي ومن مظاهر الصنعة :التزام السجع والإكثار من الاستعارات ،وأنواع المجاز والتأنق اللفظي .

وتعدّدت طبقة الكتاب في هذا العصر كتعدّد طبقات الشعراء ،والمؤكد أن ابن رشيق يأتي في صدارة الطبقة الأولى،ويليه ابن شرف، ثم يأتي أبو إسحاق الحصري، ومن أصحاب الطبقة الثانية عبد الكريم النهشلي أستاذ ابن رشيق في النقد والأدب ،وابن الربيب المعروف بالقاضي التاهرتي ،وممّا بعث به التاهرتي إلى صديق له في الأندلس من الرسائل الأدبية التي تقدم الشواغل الفكرية للرسائل في هذا العصر مايلي[3]:

"... وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم ،كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح، وراتب على كعبه لا يتزحزح، يخاف إن صنّف أن يعنّفَ، وإن ألّفَ أن يخالفَ ولا يُؤلّفَ لم يُتعب منهم أحدٌ نفسا، في جمع فضائل أهل بلاده، على أنه لو أطلقَ ما عَقَلَ الإغفَالُ من لسانه، وبسطَ ما قبض الإهمالُ من بيانه ،لوجد للقول مَسَاغًا، ولم تضق عليه المسالك ولم تخرج به المذاهب ،فإذا اخترمتهُ مَنيّتُهُ دُفنَ معه أدبه وعلمه ،فمات ذكره وانقطع خبره " .

1-الوبلُ : المطر الغزير
2- المطل / المماطلة والتأخر
3- د.عبد الله شريط ، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب ، ص 143 .

المحاضرة الحادية عشر" أدب الرّحلة في المشرق "

مقدمة: أدب الرحلات ذلك الذي يصوّر فيه صاحبه ما جرى له من أحداث وما صادفه من الأمور خلال رحلة ما لبلد ما ، ولكتب أدب الرحلات أهمية قصوى إذ تعدّ مصادر جغرافية وتاريخية واجتماعية ،لاستقاء معلوماتها من المشاهدة الحية المباشرة مما جعلها تضمن لقارئها المتعة والتّسلية ،وقد عنى العرب بأدب الرحلة منذ القدم وعبر عصور متتالية ، ومن أهم نماذجه :

- رحلة التاجر سليمان السيرافي الذي بَحَرَ إلى المحيط الهندي في القرن الثالث الهجري ورحلة مماثلة لسلام الترجمان إلى حصون جبال القوقاز سنة 227 هـ بأمر من الخليفة العباسي الواثق بحثا عن سدّ يأجوج ومأجوج.

- ثم رحلة المسعودي (ت 346 هـ) مؤلف كتاب : "مروج الذهب" ،ثم رحلة المقدسي (شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد بن هلال المقدسي) المتوفى بمصر سنة 765 هـ وهو أحد شيوخ العلم في القدس ،صاحب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" و"مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام" ،ثم رحلة عبد اللطيف البغدادي (هو موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي ،المعروف بابن اللباد، عالم في اللغة والكلام والطب والفلسفة ولد ببغداد عام 555هـ وتوفي فيها سنة 629هـ وكان كثير التنقل في البلاد فزار مصر وألف كتابا في وصف آثارها من أبرز مؤلفاته: "الإفادة والاعتبار بما في مصر من الآثار" يمثل رحلته إلى مصر آخر القرن السادس للهجرة ، طبع مرارا وترجم إلى لغات عدّة.

- ثم تلقانا رحلة البيروني (ت 440هـ)سماها : "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مَرذولة " اعتبرت وثيقة تاريخية هامة ،تجاوزت الدراسة الجغرافية والتاريخية إلى دراسة ثقافة المجتمع الهندي قديما لغة وعادات وعقائد مع اهتمام خاص باللغة السنسكريتية مقارنا بينها وبين العربية ،أقام بالهند لما يزيد عن الأربعين سنة.

وفي العصر الحديث صار أدب الرحلات شكلا فنيا داخلا في الأدب ،ولم يعد دراسة تاريخية وجغرافية ومن نماذجه " تلخيص الإبريز في تلخيص باريز" لرفاعة رافع الطهطاوي (ت 1873 م) الذي ذهب رفقة البعثة التي أرسلها محمد علي للدراسة في فرنسا واعظا و إماما، فانبهر بمظاهر النهضة الأوروبية منتقدا بعض عوائدهم في أسلوب أدبي رائع .

- ثم يلقانا أحمد فارس الشّدياق (ت 1887 م) بكتابه : "الوساطة في أحوال مالطة " يحمل وصفا لصنوف من العادات والتقاليد خاصة للنساء المالطيات .

- وإن عُد كتاب عيسى بن هشام ارهاصا بظهور الرواية العربية الحديثة ،فهو معدود أيضا من كتب الرحلات الخيالية ،إذ نرى عيسى بن هشام يقوم برحلة رفقة باشا مصري قد توفي منذ زمن بعيد وخرج من قبره وأخذ يتجوّل في شوارع مصر ودوائرها ثم تطالعنا كتب كثيرة في أدب الرحلة ،كرحلة توفيق الحكيم : "زهرة العمر " .

- ورحلة البتافوني ، ورحلة شكيب أرسلان وغيرهم، مما أدخل أدب الرحلة في مجال الأدب الشائق الطريف . [1]

1-د. جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج2 ، ص 94 .

وأما عن أدب الرحلة في الأندلس والمغرب فتطالعنا رحلة الشريف الإدريسي وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الصقلي من سلالة العلويين ولد سنة 493 هـ قي قرطبة وتوفي سنة 548 هـ ،كان طوافا نزل على روجار الثاني صاحب صقلية فأكرم وفادته لسعة علمه ، وألّف له كتابا سماه: " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ذكر فيه سبب تأليفه، ومحامد روجار أن ملك صقلية وإيطاليا وأنكرده وقلورية ذو عدل وهمّة وتوسّع في العلوم الرياضية ،يريد أن يعرف حال بلاده وأشكالها وحدودها وأهلها برا وبحرا إلخ ،فأخذ الإدريسي " في وصف أشكال الأرض وطبيعتها واستدارتها وأطوالها وغير ذلك مجملا ثم فصّله تفصيلا في كتابه المشار إليه ،وكانت جغرافية الإدريسي هذه معمول أهل أوروبا في تقويم البلدان أجيالا ،ولا سيما في بلاد الشرق وقد رسموا خرائطها وتناقلوها وترجموها إلى ألسنتهم... "[1]

ثم يلقانا أبو حامد الغرناطي وهو أبو حامد محمد بن عبد الرحمان القيسي الغرناطي ولد في غرناطة ،ثم ذهب إلى مصر ،فبغداد وخراسان وحلب ثم وفد على دمشق ومات فيها سنة (564 هـ) .ومن مؤلفاته : " تحفة الأصحاب ونخبة الإعجاب" و "المُغرب عن عجائب المغرب" ألفه للوزير يحي بن محمد بن هبيرة .

ومثلهم أبو جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد الكناني الأندلسي البلنسي كان معدودا في أصحاب المنزلة العليا في العلم والأدب ،رحل نهاية القرن السادس الهجري ثلاث رحلات الأولى تبدأ في شوال 578هـ وتنتهي بمحرم 581 هـ من غرناطة إلى مصر والشام والحجاز والعراق وصقلية ،متفقدا الآثار والمساجد والدواوين ودرس أحوالها وذكر ما شاهده أو تحمّله في أسفاره وتحدّث عن حال مصر أيام صلاح الدين الأيوبي ،والمسجد الأقصى ،والجامع الأموي والساعة العجيبة التي كانت فيه منتقدا كثيرا من الأحوال ،والثانية كانت بعد فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين تبدأ من 585 وتنتهي سنة 587 هـ، والثالثة من سبتة إلى مكة وبيت المقدس ومنها

1-د.جرجي زيدان ،تاريخ آداب اللغة العربية ، ج2 ، ص 88 ، 89 .

إلى مصر والإسكندرية فأقام يحدث وكان قد شاخ فأخذ يتعزّى عن فقد زوجته عام 601هـ ولم يعد بعدها إلى الأندلس بلده ،ومكث قرابة عشر سنوات متنقلا بين مكة وبيت المقدس والقاهرة مشتغلا بالتدريس ،وسجّل مقاومـــــة المسلمين للغزو الصليبي بقيادة نور الدين وصلاح الدين، مصوّرا مظاهر الحياة في صقلية ، في لغة أدبية وتصوير شائق. وافته المنية سنة 611 هـ [1].

ولعلّ ابن بطوطة أشهر من نار على علم ،وأعظم رحّالة المسلمين ، وهو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ،المعروف بابن بطوطة ، ولد في طنجة عام 703هـ ،وخرج من بلده سنة 725 هـ للحج وبدأت الرحلة إلى الشام ففارس ،فما بين النهرين ،فآسيا الصغرى إلى قبجاق فجنوب روسيا والاستانة ،فآسيا الصغرى فبخارا فأفغانستان إلى دهلي ، حيث عمل في سلك القضاء لعامين، وأرسله السلطان تغلق في بعثة إلى الصين فأقام بملديف لمدة سنة ونصف ،ثم رحل إلى السيلان وعاد إلى بلده سنة 750هـ ورحل في العام الموالي إلى غرناطة فالسودان سنة 752هـ، ودخل مالي وتمبكتو وتوفي سنة 779هـ في مراكش وقد سجل أسفاره في رحلة سماها: " تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ،وتعرف "برحلة ابن بطوطة " ،أولاها الافرنج اهتماما كبيرا لما عقدوا العزم على معرفة الشرق والسفر إليه عند أول نهضتهم ،وانتقدوها وعلّقوا عليها ونقلوا بعضها إلى اللغة اللاتينية ونشروها وطبعت عدة مرات ، وترجمت إلى لغات عدة : (ألمانية، تركية وفرنسية)

والرّحلة في عمومها صورة شاملة دقيقة للعالم الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري وإبراز جوانب مشرقة للحضارة الإسلامية والإخاء الإسلامي بين شعوبه بما لا نجده في المصادر التاريخية التفكيرية .

وللسان الدين بن الخطيب ولابن خلدون ،وأبو بكر الزهري الغرناطي (ت:532هـ) إلخ... رحلات يطول الحديث عنها [2].

1-المرجع السابق ، ج2 ص 90 .
2-المرجع السابق،ص234

أ- في المشرق :

ظهرت فروع العلوم الإسلامية من قراءة و تفسير و حديث في صدر الإسلام ثم ظهر الفقه و أخذت في التطور بنمو التمدن ، ثم نشأت فروع جديدة كعلوم القرآن و العلوم الإسلامية الدّينية،إثر انتشار الفلسفة و غيرها من العلوم الدخيلة.

وظهرت كيفية إعمال المسلمين الفكر في العلوم الإسلامية خاصة في الفقه الذي هو نتاج عقولهم يتميّز بدقّة النّظر وقوّة العقل، ومن تلك العلوم الشرعية المستحدثة أدب التصوف وهو في الأصل العكوف على العابدة و الانقطاع إلى الله ،و الزّهد في الدّنيا ومغرياتها ولقد اختلف علماء الإسلام في أصل كلمة التّصوف كما مرّ معنا، و المهم إجماعهم على محاسبة النفس ويميزهم بأداب خاصة بهم و مصطلحات في الألفاظ للتعبير عن أساليب مجاهدة النفس وكيفية الترقي من ذوق إلى ذوق، وعند بدء تدوين العرب للعلوم في الإسلام كتب الصوفية في طريقتهم على ذلك المنهج، فكتبوا في الورع ومحاسبة الفنس على الاقتداء فيما تأخذه أو تتركه على نحو ما فعل أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري المتوفى سنة 465هـ ـ و« كان عالمًا في الفقه و التفسير والحديث والأصول و الأدب و الشعر، و الكتابة فضلا عن التصوف»[1] ومن مؤلفاته في التّصوف: " الرسالة القُشيرية "، ومثله أبو حفص عمر بن محمد الملقب شهاب الدين السهرودي المتوفى سنة 632 هـ ببغداد،وله كتاب :" عوارف المعارف"وقد جمع حجّة الإسلام الغزالي بين الأمرين في مؤلّفه: " الإحياء " فسجّل فيه أحكام الورع و الاقتداء ثم فصل في آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم، و أصبح التّصوف علمًا مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة لا أكثر.

1-د.جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، ص 641

ب- في الأندلس و المغرب:

الأدب الصّوفي هو نتاج الزهّاد والصّوفية بمختلف اتجاهات السنية والفلسفية يبحث في أعماق النفس البشرية بعمق فلسفي لتطهيرها من حب الدّنيا و زخرفها وبعث الطّمأنينة فيها و يطرح كوامن النّفس من حبّ و جمال وقيم أخلاقية ومعرفة، كما يوضح الخطوات التي يتدرجها السالك – المريد – في تطهير نفسه، و البلوغ بها مراتب الكشف ممّا يعكس علو الرّوح الدّينية عندهم ويأتي نثرا راقيا ومن أغراضه: المدائح النبوية رسائل الشوق إلى الأماكن المقدسة، الأحزاب و الأوراد، التوسلات، الحكم ، الرسائل الصوفية، و يمكن القول عن مقدماته فمثلما كان الزهد تمهيدا للتصوف في المشرق العربي كان كذلك بالنسبة للمغرب الأوسط خلال القرن03هـ /9م إلى 6هـ /12م وبرزت خيوطه الأولى في أشعار بكر بن حمّاد متأثرا خلال رحالاته إلى المشرق وإلى إفريقية (تونس) بكلّ من الزّاهد سحنون بن حبيب التّنوخي القيرواني المتوفى سنة 240هـ ، فتشبّع بمنهجه القائم على الزهدّ في الدّنيا فتمحورت أشعاره حول محاسبة النّفس و التّذكير بالموت .

فهذا التّنوع من الزّهد الوجداني الذّاتي قد دخل المغرب الأوسط مع الزّاهد قاسم عبد الرحمن التيهارتي الذي تلقاه مباشرة من شاعره بالقيروان .

هكذا استمد أدب الزّهد و التّصوف أفكاره من أدب القيروان قبل خرابها من قبل القبائل الهلالية سنة 449هـ وكذلك من قرطبة و البصرة وبغداد و الحجاز.

ومن أهم المصادر المشرقية و المغربية و الأندلسية التي نهل منها أدب التّصوف كتاب" الرعاية لحقوق الله" للحارث بن أسد المحاسبي المتوفى سنة 243هـ، و " قوت القلوب" لأبي طالب المكي المتوفى سنة 300هـ و " الرسالة القشيرية " لأبي القاسم القشيري " المتوفى سنة 465هـ، و كتاب" إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي المتوفى سنة 505 هـ [1]

1- عبد العزيز نبوي، محاضرات في الشعر المغربي القديم ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983م،ص 135

وعرف التصوف طريقه إلى الأندلس منذ القرن الثاني للهجرة بفعل اتصال حركة التصوف عبر شمال افريقيا، أو الاتصال المباشر مع المشرق أثناء أداء فريضة الحجّ وازدهر التصوف في القرن السابع الهجري، وصار محيي الدين بن عربي أحد كبار الصوفية حتى لقب بالشيخ الأكبر، ومن المتصوفة الأوائل أصحاب الشهرة ابن سبعين، وابن عباد، والرندي.

ولقد عرف التصوف ازدهارا كبيرا في الأندلس تؤكده المصادر التاريخية من مثل: "موسى بن عمران الميرتلي، و أبو الحجاج يوسف الشبربلي،و أبو عبد الله بن المجاهد،وغيرهم كثير.[1]

1- المرجع نفسه ،ص136

المحاضرة الرابعة عشر : النثر الجزائري القديم

لم تُعرف في المغرب عامة و الجزائر خاصة بعد الفتح الإسلامي حركة أدبية تستحق الذكر، ومن الذين عرفوا في تلك الفترة أبو الخطار الحُسام بن ضرار الكلبي المتوفى بالأندلس سنة 130هـ، وبكر بن حماد التهرتي المتوفى سنة 296هـ ، وابن هاني الأندلسي المتوفى سنة 362هـ ، فوجود أديب في كل مائة عام لا يقوم دليلا على ازدهار أدبي ، وممّا يؤكد قلّة الأدب وضعفه وتـأخر الحركة العلمية في الجزائر والمغرب العربي عامة قول ابن خلدون المتوفى سنة 808هـ/1406م: " ... وكذلك أشعارهم المقصود أهل إفريقيا و المغرب كانت بعيدة عن الملكة، نازلة عن الطبقة، و لم تزل كذلك بهذا العهد، ولهذا ما كان في إفريقيا من مشاهير الشعراء إلا ابن رشيق ،وابن شرف، وأكثر ما يكون الشعراء طارئين عليها، ولم تزل طبقتهم في البلاغة حتى الان مائلة إلى القصور...." [1]

والنثر الجزائري القديم هو ما كتبه جزائريون عاشوا في الجزائر أو أقاموا فيها مدة ما أين تفاعلت مخيّلتهم و الواقع الجزائري فعكسوا قسماته الرسمية[2] منذ منتصف القرن الثاني الهجري أو بعده بقليل أيام قيام الدولة الرستمية في المغرب الأوسط (الجزائر) سنة 160هـ ، فانتسبت إلى مؤسّسها عبد الرحمن بن رستم زعيم الخوارج الإباضيين[3] متخذة العربية لغة رسمية، دون تصادم مع الأمازيغية، فعرّب الأمازيغ عقائديا وثقافيا وعلميا، وزاد من تعريب البربر و تمكين الإسلام في نفوسهم هجرة الفرق الإسلامية إلى بلاد المغرب عقب الفتنة التي وقعت على علي بن أبي طالب، ضف إلى ذلك ارسال عمر بن عبد العزيز إلى شمال إفريقيا بعثة فقهية .

لقد قطن الجزائر أدباء، و علماء من تونس و المغرب و الأندلس وانصهروا في مناخها، و أثروا و تأثروا فكان النّتاج متشابكا يصعب فصل الأصيل من الوافد.

1- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،ص 271.
2- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1981م، ص 6، 7.
3- د.عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم ، (دراسة في الجذور)، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2005، ص 1،2

وبداية الأدب الجزائري يكتنفها الغموض إذ نشأت في عهد التعريب والتعلم والفوضى السياسية والاجتماعية "وإذا كانت الحركة الأدبية والعلمية يلفها الغموض للسنوات الثانية للفتح الإسلامي و التي تصل إلى القرنين أو تزيد، فمن الطبيعي أن يشمل هذا الغموض حركة التعريب التي تسبق ولاشك حركة التأليف والنظم "[1]

والملاحظ أن المصادر الأدبية في معظمها لا تذكر إلا الفتن والحروب، بين دويلات وقبائل هذه الفترة .

ومما يلاحظ عن الحركة النثرية القديمة في الجزائر و أسباب تطورها مايلي:

1- تشجيع حكام الدولة الرستمية للحركة الفكرية.
2- جلب المؤلفات من المشرق العربي.
3- بناء المؤسسات التعليمية .
4- قيام المساجد بدور ثقافي وديني.
5- إنشاء المكتبات العلمية .
6- تنافس الكتاب فيما بينهم.

فمثل هذه النهضة لابد أن تواكبها نهضة في مجال التأليف لتجعل الدولة الرستمية مركزا ثقافيا حاملا لمشعل الحضارة في القرن 3هـ، فنبغ في ظل هذا أدباء ناثرون أهمهم: الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الذي كانت رسائله و خطبه ذات طابع ديني سياسي مع مقطوعات شعرية، وأبو سهل الفارسي حفيد الإمام أفلح، الذي احترقت مؤلفاته أيام الفتنة التي أصيبت بها تيهرت أواخر أيام الحكومة الرستمية ، و أبو الفضل أحمد القاسم البراز ، ويهودا بن قريش التيهرتي و أحمد بن فتح التيهرتي قاضي تيهرت ، وابن الصغير المالكي مؤرخ الدولة الرستمية، وبكر بن حمادّ المولود بتيهرت عام 200هـ/(816م)[2]

1-عبد العزيز نبوي، محاضرات في الشعر المغربي القديم، ص 152

2-رابح بونار، المغرب الغربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1986، ط2،ص 11-107

ورغم استمرار قيام الدولة الحمادية قرنا ونصف قرن، فقد ضاع معظم نثرها ورسائلها مع ما ضاع من تراث ثقافي وفكري، وقد اكتفت المصادر التاريخية، بالإشارة إلى وجود نصوص إبداعية،و لكنها لم تقيّدها على نحو ما أشار ابن الأثير إلى وجود ثلاث رسائل سلطانية مكتفيا بالتلميح دون التقييد.[1]

- **فنون النثر الجزائري القديم:**

أ- الخطابة: وهي من فنون النثر الجزائري الذي أخذ في الظهور منذ قيام الدولة الرستمية و الذي عرف تطورا فوضعت قواعده و أصوله وحدّدت أنواعه وهي أربع:

1- دينية: وهي ما يلقى في الجمعة و العيدين.

2- سياسية: وهي ما يلقى في المحافل السياسية و اللقاءات .

3- حزبية: وهي مايلقى في الجنود لتحميسهم، ودفعهم للاستبسال و التضحية.

4- حفلية: وهي ما يلقى في الحفلات و المناسبات العامة.

ب- الرسائل (الترسل): الرسائل نص نثري يوجه إلى إنسان مخصوص يحمل خطابا عاما في صياغة وجدانية عاتية مؤنسة،وقد يكون في عتاب رقيق يظهر النجوى، أو في شكوى، يكشف عما في الوجدان من الأحاسيس، تتوارد فيه الخواطر، ليغدو قطعة فنية شعرية مؤثرة يتنوع بين وصايا، ورسائل شخصية ذاتية أو أدبية أو رسمية (إدارية)، ومن عناصرها: البسملة، المحتوى، الخاتمة، اسم المرسل و المرسل إليه السلام، التاريخ، العنوان، وتختلف باختلاف أنواعها، كما يختلف ترتيب عناصرها.

ج- فنّ الرّحلة: الرّحلة أن يقطع المرء مسافة ما بين مكانين في زمن ما و غرض بعينه مبنية على القصديّة يلتقي فيها الرحالة بنماذج بشرية تختلف عاداتهم و تقاليدهم ولغتهم عن بعضها البعض وقد يحدث أثناءها التأثير و التأثر لأن الرّحّالة : « يتعرض

1-ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 102

بعيدا عن موطنه لشتى أصناف التجارب و المغامرات، ويبني من خلالها معرفة بغيره وتميّزا لذاته»[1]

وقد يسجل الرحالة ما يصادفه، و ما تهتز له جوارحه، فينقله تارة سردا، و تارة وصفا، وأخرى تعليقا، مصبغا عليه ذاتيته نثرا في أغلب الأحيان.

د- فنّ المقامة: هي حكاية تسرد تكون في حدود الصفحتين أو يزيد، تُلقى في مجلس مثقلة بالبديع و البيان تحمل ملحة أو عظة أو نادرة أو مغامرة، تختم بنهاية غير متوقعة، لها راو وبطل يعتمد على الحيلة و الخداع تحقيقا لغرضه وهو الكدية: (الشحاذة) غالبا.

مضمونها و أركانها: الراوي- المجلس- الحكاية- اللغة المتصنعة – الحوار – البطل-النكتة أو الفكرة أو العظة والمفاجأة، وقد عرف هذا الفن ازدهارا و نشاطا كبيرا خاصة في عهد الدولة الحمادية.[2]

1-عبد الرحمان بنعادة، السفر في العالم العربي الإسلامي (سلسلة ندوات و مناظرات)، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة ، الطبعة الأولى ، 2003،ص 11

2-المرجع نفسه، ص 94،وما بعدها.

خاتمـــــــة عامـــــــة

لقد سبق أن ذكرنا أن النص الأدبي القديم بشقيه شعرا و نثرا قد استحسن استهلاله بالحديث عن النثر أيام الجاهلية وميزنا تاريخيا بين نثرين ما كان لغة تخاطب الجميع سماعا وما كان لغة الخاصة ممّن رزقوا بلاغة وحسّا مرهفا وقد تفرّع إلى جداول منها القصص والأمثال والوصايا والخطب مكوّنة ما يسمى بالنثر الفني، وما دام النّثر توأم الشعر فقد احتضنته البيئة نفسها التي ترعرع فيها الشعر فهي بيئة شبه الجزيرة العربية جغرافيا .

وتعرضنا إلى الخطابة كأول جداول النثر، وقد كان لها في العصر الجاهلي شأن كبير إذ برزت مع وفود عرب اليمن وشرقي الجزيرة على كسرى ، فعُرفت خطب المنافرة وخطب الحرب، وخُطب الوعظ وخطب الزواج، وخطب إصلاح ذات البين، وتواضع الخطباء على سُنن ارتقاءً بفن الخطابة . ولمّا ظهر الإسلام نسخ ديانات وأزال أمما وفوّض نظما مستعينا ببلاغة الكلام قبل تجريد الحُسام، كما أحدث تغييرا في آداب العرب وعلومهم فكثيرا ما توقف فتح بلد على خطاب يتلوه قائد ، واقتفى الخلفاء الراشدون آثار الرسول صلى الله عليه وسلم فخطبوا في كلّ المواسم والأحداث يؤازرهم خطباؤهم، وعرفت الخطابة ازدهارا في العصر الأموي لعامل الموهبة ثم السياسة وموضوعها الخلافة ومن الأحقّ بها. واعتمدت في كل المنسبات بالمساجد وخارجها. فازدادت الخطابة السياسية والحفلية والدينية ازدهارا، وعرفت المناظرات، ممّا أدّى بالنثر إلى تطوّر واسع في مضامينه الجديدة التي لم تكن معروفة من قبل ودفع بالمتكلمين والمتناظرين إلى البحث عن أصول البلاغة العربية، ودعمنا الموضوع بنصوص من خطب صدر الإسلام ، الأوّل من خطب الجهاد للإمام على بن أبي طالب والثاني للحجاج بن يوسف الثقفي في تهديد أهل البصرة. وجُمع بين الحكمة والمثل لاتفاقهما في الدقّة والإيجاز ، وقوّة العبارة، ووضوح الفكرة وجمال الصياغة وقدّمت نماذج عنهما .

وكان للسّرد حضور بالنّص الأدبي القديم ، وبيّنا أنّ العرب لم يعيروا هذا الفن اهتماما أثناء نقلهم علوم اليونان والرومان، واكتفوا بما نقل عن الفارسية والهندية وعلى رأسها جميعا "ألف ليلة وليلة" ، وكان للحكاية على لسان الحيوان حضور مثله كتاب "كليلة ودمنة" الذي ألّفه الفيلسوف الهندي بيدباء في تهذيب النّفوس ، وأدّى اهتمام العرب به إلى نقله شعرا.

وأشير إلى فن المقامات الذي كان من إنشاء بديع الزمان الهمذاني، وإن كانت المقامة أقرب إلى القصّة القصيرة المسجوعة ، فإن غرضها الأساسي إنما هو معالجة موضوعات نقدية شتى أدبية ومذهبية واجتماعية، ولغوية وفيها الحكمة والوعظ والإرشاد والأدب والألغاز فهي بذلك جنس أدبي قديم يختلف عن المعروف حديثا وعن نماذجه اختيرت مقامتان لبديع الزمان والحريري ومنامة الوهراني الذي اتخذ السّخرية مطيّة غايتها الإصلاح بطريقة بناء الرّؤيا .

وتبيّن أن تعقد الحياة العبّاسية قد أدّى إلى تعدّد الرسائل بتعدّد الدّواوين ونشطت الكتابة الدّيوانية لأنها تؤهّل المتفوّقين إلى مراتب عالية وتحقّق أرباحا طائلة ، فبرز فيها كتاب نابهون .

وقلّد خلفاء بني العباس ووزراؤهم ملوك الفرس فيما يسمى بالتوقيعات ، فكانت عبارة مركزة يردّ بها الخلفاء على ما يَرِدُ عليهم من رسائل تظلّم الأفراد في الرّعية، فبرع فيها كثيرون.

ويلاحظ عدم عناية مؤرخي الأدب بفن الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس الأمر الذي جعله لا يصل منه الكثير .

واعتمدت الرسائل السياسية في المشرق والمغرب والأندلس كوسيلة تبليغ نالت عناية النّقاد فكانت محلّ دراسة لأنّ أصحابها أظهروا فيها تأنقا وعناية فنّية عالية ، بدء بلقيط بن يعمر الإيادي ، واستعملها الرسول صلى الله عليه وسلم في العهود والمواثيق

واقتفى أثره الخلفاء الراشدون، فضلا عن مساهمات الخلفاء وولاتهم وقاداتهم في العصرين الأموى والعبّاسي .

ونشطت الرسائل الإخوانية في العصر العباسي وصارت تؤدى نثرا لمرونته وظهور طبقة ممتازة من الكتّاب ، بعد أن كانت تؤدى شعرا في العصر الأموي مُصوّرة عواطف الأفراد ومشاعرهم كالرغبة والرهبة والعتاب والتعزية والتهنئة ، ... وطبع النّثر في الأندلس والمغرب بطابع الصّنعة، ولم تسلم من هذه الميزة إلاّ كتابات ابن رشيق.

ثم عرجنا على أدب الرّحلات وهو ذلك الذي يصوّر فيه صاحبه ما جرى له من أحداث خلال رحلة ما، وتكمن أهميّة أدب الرّحلات في كونه يُعدّ مصادر جغرافية وتاريخية واجتماعية. لذلك عنى به العربُ عبر العصور في كلّ من المشرق والمغرب والأندلس .

وبظهور فروع العلوم الإسلامية من قراءة وتفسير وحديث في صدر الإسلام والتي أُخذت في التطور بنموّ التمدن ، نشأت فروع جديدة كعلوم القرآن والعلوم الإسلامية، ومن تلك العلوم المستحدثة أدب التصوّف، وهو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله وعند بدء التدوين كتب الصّوفية في الورع وفي محاسبة النفس لتطهيرها من حبّ الدّنيا وزخرفها وبعث الطمأنينة فيها ، فورد أدبُ التصوص شعرا كما ورد نثرا راقيا، وكما كان الزهد تمهيدا للتصوف في المشرق العربي كان كذلك بالنسبة للمغرب الأوسط والأندلس .

وختم البرنامج بالإشارة إلى أنه لم تعرف في المغرب عامّة والجزائر خاصة بعد الفتح الإسلامي حركة أدبية تستحق التذكر ، والملاحظ أنّ المصادر الأدبية والتاريخية في معظمها لا تذكر إلاّ الفتن والحروب بين الدويلات بدء بالدولة الرستمية، والملاحظ أن معظم النثر الجزائري قد ضاع مع ما ضاع من تراث ثقافي وفكري .

فمن اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد ولم يُصب فله أجر اجتهاده

***** والحمد لله ربّ العالمين *****

قائمـــــة بالمصـــــادر والمراجـــــع

*** القـــــرآن الكريـــم**

برواية ورش عن الامام نافع ،وزارة الشؤون الدينية ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر، 1419هـ /1998م.

أ- المصـــــــــادر:

1- ابن النديم ، الفهرست ، طبعة ليسبيك، ج1، سنة 1872م

2- ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ت.

3- ابن عبد ربه ، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وإبراهيم الأبياري، ج3، نشر لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1955م .

4- ابن قتيبة، عيون الأخبار،ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م .

5- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر،ج9، ط2، بيروت،1973م

6- أبو عثمان عمرو بن بحرالجاحظ ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح د.عبد السلام محمد هارون، ج3، ط4 دار الفكر ، بيروت

7- الشهر ستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد) ، الملل و النحل ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، منشورات مؤسسة الحلبي و شركاه، القاهرة، 1968م.

8- الطبري (محمد بن جرير) تاريخ الطبري ج2 ، طبعة أوروبا ،.

9- عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ،ج2، تحقيق د.علي عبد الواحد وافي، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م

10- القالي(أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم)، كتاب الأمالي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1407هـ / 1987م .

11- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة ، مكتبة المعارف، بيروت، ج1، ط1، 1986م .

12-المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت،ج4 ، ط1، 1965م.
13-النوري ، نهاية الأرب ،ج5، القاهرة ، ط 1929 م .

ج- المعاجم :

1- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، المجلد الأول، دار الجيل.
2- الحموي (شهاب الدين، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي) معجم البلدان، ج2 ، دار صادر ، بيروت ، 1977 م .

د- المراجع :

1- أبو الفضل محمد بن الحسين بن يحي، مقامات بديع الزمان الهمذاني ،م1 ، قدم لها وشرح غوامضها الإمام العلامة الشيخ محمد عبده، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط 3، بيروت ، لبنان ، 1426هـ/2005م.
2- أبو محمد القاسم الحريري، المقامات، سلسلة أنيس الجزائر، (د.ط) 1989م.
3- أيمن محمد ميدان ، الحوار الأدبي بين المشرق و الأندلس، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية، د ط ، 2003م.
4- بطرس البستاني، أدباء العرب في الأعصر العباسية،ج2، ط1، دار نظير عبود بيروت، لبنان، 1989م .
5- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج1،ط2 1978م.
6- الحريري، مقامات الحريري،ط1، مطبعة المعارف ، بيروت، سنة 1973م.
7- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط2 الجزائر، 1986م.
8- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي، (العصر العباسي الأول)، ط12، دار المعارف القاهرة.
9- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، (العصر الإسلامي)، ط17، دار المعارف، القاهرة

10-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي،(العصر العباسي الثاني)، ط10، دار المعارف القاهرة، 1996م.
11- الشيخ ركن الدين محمد بن محرز بن محمد الوهراني ،منامات الوهراني، ط1، كولونيا، ألمانيا،1998م.
12-عبد الرحمن بنعادة، السفر في العالم العربي الإسلامي، (سلسلة ندوات ومناظرات) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى 2003 م .
13-عبد العزيز نبوي، محاضرات في الشعر المغربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983م.
14-عبد الله شريط ، تاريخ الثقافة و الأدب في المشرق و المغرب، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
15-عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، (دراسة في الجذور) ط5،دار هومة الجزائر، 2005 م .
16- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ،ج1، ط3،دار العلم للملايين، بيروت لبنان،1973م
17-غازي طليمات، عرفان الأشقر ، الأدب الجاهلي، (قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه) ط1،دار الفكر المعاصر، بيروت،لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية،1422 هـ/ 2002 م
18-محمد الطمّار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981 م.
19-محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1973م
20-مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب الأندلسي، ط3،الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م ، القاهرة، مصر، 2008م .
21-ابو محمد القاسم، مقامات الحريري ،ط04، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 201، 202

ج- المجلات:

1- مجلة جامعة تكريت للعلوم ، المجلد 19، العدد 7 ، تموز، 2012 م .